الفصل الأول
غزوة بني النضير [١]
ربيع الأول ٤هـ/ أغسطس (آب) ٦٢٥ م / مسرى ٣٤١ قبطي
المبحث الأول
عرض غزوة بني النضير

تمهيد: اليهود ودولة الإسلام في المدينة:

لليهود في تاريخ الإسلام وفي سيرة النبي الكريم ﷺ وافر الذكر، وليس كل ذكر ذكرًا، فمن الذكر ما يبقي عبقًا متألقًا بالنور، ومن الذكر ما يكون أسود مظلمًا، يتوارى منه أهله خجلًا، ولو لم يكن لليهود من هذا الذكر الأسود إلا ما سطره القرآن في آياته لكفى الناس أن يتقوهم ويحذروهم، فمن القرآن ما فيه مزدجر، يبلغ بالناس مشارف الحكمة، يأخذون منها لأنفسهم أحسنها، وكله نافع حسن.

[السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة لشقرة ٤٠٦].

كان هؤلاء اليهود يتحينون الفرص للتخلص من المسلمين منذ أن تمركزوا في المدينة، وقد ظلت أعمال هؤلاء اليهود العدوانية مقتصرة على الدس والوقيعة والتحريض لتفريق كلمة المسلمين وتفكيك وحدتهم والتشكيك في صدق نبوة محمد ﷺ. [غزوة الأحزاب لباشميل ٤٧].

لقد كان لغزوة بدر أثر كبير على نفوس المشركين والمنافقين واليهود في المدينة وخارجها، والقبائل العربية والأعراب الذين مردوا على النفاق وألِفوا سلب الأموال ونهبها، إذ كانت النتيجة مذهلة للجميع. [الصراع مع اليهود لأبي فارس ١/ ١٥٣].

وكان يهود بني قينقاع أول من حوَّل النزاع بين اليهود والمسلمين من نزاع مدني إلى نزاع مسلح، فحاصرهم المسلمون في حصونهم ثم استنزلوهم وتم إجلاؤهم من المدينة. [غزوة الأحزاب لباشميل ٤٧].

وكان لإخراج يهود بني قينقاع من المدينة وتطهيرها من رجسهم، مدحورين صاغرين أثر كبير على نفوس المنافقين في المدينة واليهود والأعراب المجاورين للمدينة. [الصراع مع اليهود لأبي فارس ١/ ١٥٤].

ولم يشترك يهود بني النضير في معركة بني قينقاع حربيًّا، وإن كانت عواطفهم معهم، وقد بقي يهود بني النضير (كبني قريظة) على عهدهم مع المسلمين، ولم يقوموا بأي عمل عسكري ضد المسلمين، وخاصة بعد أن رأوا العبرة في يهود بني قينقاع الذين كانت نتيجة حملهم السلاح في وجه المسلمين هو استسلامهم ثم إجلاؤهم عن المدينة في السنة الثانية من الهجرة. [غزوة الأحزاب لباشميل ٤٧].

---

(١) **النَّضِير**: حي من يهود دخلوا في العرب وهم على نسبهم إلى هارون نبي الله تعالى عليه السلام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله تعالى قد كتب عليهم هذا الجلاء. سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٧٠.

ظلت حالة الخوف والفزع والجزع والاضطراب والقلق تلازمهم حتى حدثت غزوة أُحُد، ونال المسلمين ما نالهم من الآلام والقتل، إذ استشهد فيها سبعون من خيار المسلمين وأبطالهم، ولم تكن لهم الغلبة الواضحة كغزوة بدر الكبرى، فأطمع ذلك اليهود، وجرَّأهم وغيرهم على إعلان العداء لرسول الله ﷺ والمسلمين، وإظهار الشماتة فيه، فقالوا: «**مَا مُحَمَّدٌ إلا طَالِبُ مُلْكٍ! مَا أُصِيبَ هَكَذَا نَبِيٌّ قَطُّ! أُصِيبَ فِي بَدَنِهِ، وَأُصِيبَ فِي أَصْحَابِهِ!!**»، وَجَعَلَ الْمُنَافِقُونَ يُخَذِّلُونَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَصْحَابَهُ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالتَّفَرُّقِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَجَعَلَ الـمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ: **لَوْ كَانَ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ عِنْدَنَا مَا قُتِلَ**، حَتَّى سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ ذَلِكَ فِي أَمَاكِنَ، فَمَشَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيَسْتَأْذِنَهُ فِي قَتْلِ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ مِنْ اليَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عُمَرُ، إِنَّ اللهَ مُظْهِرٌ دِينَهُ وَمُعِزٌّ نَبِيَّهُ، وَلِليَهُودِ ذِمَّةٌ فَلا أَقْتُلُهُمْ**». [المغازي للواقدي ١/ ٣١٧-٣١٨، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ١٧٧].

وزاد هؤلاء الحاقدين حقدًا ـ وفي مقدمتهم يهود بني النضير ـ ما حدث للمسلمين في ماء الرجيع وبئر معونة. [الصراع مع اليهود لأبي فارس ١/ ١٥٤-١٥٥].

تاريخ الغزوة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: اصْطَبَحَ [صَبَّحَ] نَاسٌ [أُنَاسٌ] الْخَمْرَ يَوْمَ [غَدَاةَ] أُحُدٍ، ثُمَّ قُتِلُوا شُهَدَاءَ [فَقُتِلُوا مِنْ يَوْمِهِمْ جَمِيعًا شُهَدَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا].

[البخاري في الجهاد (٢٨١٥)، وفي المغازي (٤٠٤٤)، وفي التفسير (٤٦١٨)].

قال ابن كثير: «تَنْبِيهٌ: ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ وَالْبُخَارِيُّ قَبْلَهُ خَبَرَ بَنِي النَّضِيرِ قَبْلَ وَقْعَةِ أُحُدٍ، وَالصَّوَابُ إِيرَادُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَغَازِي.

وَبُرْهَانُهُ: أَنَّ الْخَمْرَ حُرِّمَتْ لَيَالِيَ حِصَارِ بَنِي النَّضِيرِ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ اصْطَبَحَ الْخَمْرَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْخَمْرَ كَانَتْ إِذْ ذَاكَ حَلَالًا، وَإِنَّمَا حُرِّمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَبَيَّنَ مَا قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّ قِصَّةَ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ». [السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٦].

وقال ابن كثير: «وَحَكَى الْبُخَارِيُّ [(١)] عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ بَنُو النَّضِيرِ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ قَبْلَ أُحُدٍ.

---

(١) البخاري في المغازي باب حديث بني النضير....معلقًا. وقال ابن حجر: «وَصَلَهُ عَبْد الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ عَنْ مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيِّ أَتَمَّ مِنْ هَذَا، وَلَفْظُهُ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَهُوَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عُرْوَة: ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَة بَنِي النَّضِير، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ اليَهُود عَلَى رَأْس سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَة بَدْرٍ، وَكَانَتْ مَنَازِلهمْ وَنَخْلُهمْ بِنَاحِيَةِ الـمَدِينَةِ، حَاصَرَهُمْ رَسُول الله ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الجَلاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الإِبِل مِنْ الأَمْتِعَةِ وَالأَمْوَالِ لا الحَلَقَةَ ـ يَعْنِي السِّلاحُ ـ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾، وَقَاتَلَهُمْ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الجَلاءِ فَأَجْلاهُمْ إِلَى الشَّام، وَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلاءٌ فِيمَا خَلَا، وَكَانَ اللهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ الجَلاءَ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالقَتْلِ وَالسَّبَاءِ. فتح الباري ٧/ ٣٨٤.

وَقَدْ أَسْنَدَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهِ. [ذكره المصنف بهذا الإسناد معزوًّا لابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ٨٥، سورة الحشر آية ٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٨٧ لابن أبي حاتم وغيره].

وَهَكَذَا رَوَى حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ الرَّقِّيِّ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ مَازِنٍ الْيَمَانِيِّ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فَذَكَرَ غَزْوَةَ بَدْرٍ فِي سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سنة ثِنْتَيْنِ.

قَالَ: ثُمَّ غَزَا بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ غَزَا أُحُدًا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ قَاتَلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ [دلائل النبوة ٣/ ٣٥٤]: وَقَدْ كَانَ الزُّهْرِيُّ يَقُولُ: هِيَ قَبْلَ أُحُدٍ.

قَالَ: وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا بَعْدَهَا، وَبَعْدَ بِئْرِ مَعُونَةَ أَيْضًا.

قُلْتُ: هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ كَمَا تَقَدَّمَ(في مقتل كعب بن الأشرف)، فَإِنَّهُ بَعْدَ ذِكْرِهِ بِئْر مَعُونَة، وَرُجُوع عَمْرو بْن أُمَيَّةَ ﷺ، وَقَتْلَهُ دَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِعَهْدِهِمَا الَّذِي مَعْهُمَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لَأَدِيَنَّهُمَا**». [السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٤٥].

ولم يجزم الحافظ ابن حجر برأي قاطع في الأمر، رغم رجحان الدليل الصحيح عنده وعلق التسليم برأي ابن إسحاق بثبوت تعلق الغزوة بقصة العامريين القتيلين.

ويبدو أن استفاضة الروايات على ضعفها في تأييد قول ابن إسحاق هو السبب في عدم جزم الحافظ، وهو مسلك مع الروايات التاريخية يتسم بالمرونة في تطبيق قواعد مصطلح الحديث، وبمراعاة التخصص واحترام أقوال أصحاب المغازي». [السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ٣٠٦].

قال ابن حجر معلقًا على رواية الزهري: «فَهَذَا أَقْوَى مِمَّا ذَكَرَ اِبْن إِسْحَاق مِنْ أَنَّ سَبَبَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ طَلَبُهُ ﷺ أَنْ يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ، لَكِنْ وَافَقَ اِبْن إِسْحَاقَ جُلُّ أَهْلِ الْمَغَازِي، فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ سَبَبَ إِجْلَاءَ بَنِي النَّضِيرِ مَا ذُكِرَ مِنْ هَمِّهِمْ بِالْغَدْرِ بِهِ ﷺ، وَهُوَ إِنَّمَا وَقَعَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِمْ لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ فِي دِيَةِ قَتِيلَيْ عَمْرو بْن أُمَيَّةَ ﷺ، تَعَيَّنَ مَا قَالَ اِبْنُ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ بِئْرَ مَعُونَة كَانَتْ بَعْدَ أُحُدٍ بِالِاتِّفَاقِ». [فتح الباري ٧/ ٣٨٥].

ويرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: «وَزَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، أَنَّ غَزْوَةَ بَنِي النَّضِيرِ كَانَتْ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَهَذَا وَهْمٌ مِنْهُ أَوْ غَلَطٌ عَلَيْهِ، بَلِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ أُحُدٍ، وَالَّتِي كَانَتْ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ هِيَ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَقُرَيْظَةُ بَعْدَ الْخَنْدَقِ،

وَخَيْبَرُ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ لَهُ ﷺ مَعَ الْيَهُودِ أَرْبَعُ غَزَوَاتٍ، أَوَّلُهَا: غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بَعْدَ بَدْرٍ، وَالثَّانِيَةُ: بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ أُحُدٍ، وَالثَّالِثَةُ: قُرَيْظَةُ بَعْدَ الْخَنْدَقِ، وَالرَّابِعَةُ: خَيْبَرُ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٢٣].

وقد ذهب ابن حزم هذا المذهب قبل ابن القيم، والله أعلم. [جوامع السير ص ١٨١].

وقال ابن العربي: واختار البخاري أنها قبل أُحُد، والصحيح أنها بعد ذلك.

[أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٢٠٦].

يقول د/ آل عابد: «والذي تطمئن إليه النفس ما ذهب إليه ابن كثير وابن القيم وغيرهما من أن غزوة بني النضير كانت بعد أُحد؛ لأن إباحة شرب الخمر في غزوة أُحد، وتحريمه خلال غزوة بني النضير يؤيد ذلك؛ ولأن الثقات من العلماء كابن كثير وابن القيم عندما رتبوا الغزوات وضعوا غزوة بني النضير بعد غزوة أُحد». [حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ لآل عابد ١/ ٢٥٤].

أسباب الغزوة:

تذكر كتب السنة والسيرة أكثر من رواية حول الأسباب التي حملت النبي ﷺ على غزوة بني النضير وإجلائهم، وكلها تؤكد على غدر بني النضير وخيانتهم وحقدهم، وعدم وفائهم بالعهود والعقود، ومن أهمها:

١ـ نَقْض بني النضير عهودهم التي تحتم عليهم ألا يؤووا عدوًّا للمسلمين، ولم يكتفوا بهذا النقض، بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة.

وقد حصل ذلك في غزوة السويق [غزوة السويق كانت بعد بدر ٢هـ، وقد سبق الحديث عنها بالتفصيل في مجموعة غزوة بدر الكبرى]، التي تتلخص أحداثها في أن أبا سفيان بن حرب حاول بعد هزيمة المشركين في غزوة بدر بشهرين أن ينتقم من المسلمين،، فسار إلى المدينة في مائتي راكب حتى وصل إلى ديار بني النضير تحت جنح الظلام، فطرق باب سيدهم (سلام بن مشكم)، فاستقبله (سلام) استقبالًا حسنًا، وسقاه خمرًا، وعرَّفه أخبار المسلمين، وبعد أن تدارس معه أصلح الطرق لإيذاء المسلمين والإفلات من عقوباتهم، هجم برجاله على ناحية يُقال لها (العريض)، فأحرقوا بيتين ونخيلًا بها وقتلوا رجلًا من الأنصار، وحليفًا له في حرث لهما، ثم انكفؤوا هاربين إلى مكة، وشعر المسلمون بما حدث، فانطلقوا في أثرهم، وأحس أبو سفيان، ومن معه بالطلب، فأسرعوا في الهرب، وألقوا الزاد الذي معهم ـ وكان أغلبه من السويق ـ لكي لا يثقلهم في فرارهم، وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن أمعن أبو سفيان ومن معه في الفرار. [بنو إسرائيل في القرآن والسنة لطنطاوي ٢٧٨-٢٧٩].

وأيضًا مَا ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي المَغَازِي قَالَ: كَانَتْ النَّضِيرُ قَدْ دَسُّوا إِلَى قُرَيْشٍ وَحَضُّوهُمْ عَلَى قِتَال رَسُول الله ﷺ، وَدَلُّوهُمْ عَلَى العَوْرَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوًا مِمَّا سَيَأْتِي عَنِ اِبْنِ إِسْحَاقَ مِنْ مَجِيء النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الرَّجُلَيْنِ. [فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٨٦].

٢ ـ رفض يهود بني النضير في غزوة أحد أن يعينوا المسلمين بسلاحهم، أو بأموالهم، قال الإمام الطحاوي: «حَدَّثَنَا يُونُسُ قَالَ: أَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ أَنَّهُ سَمِعَ الحَارِثَ بْنَ يَزِيدَ الحَضْرَمِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الحَارِثِ الأَنْصَارِيِّ عَنْ بَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ جَمْعُ أَبِي سُفْيَانَ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَانْطَلَقَ إِلَى اليَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا فِي النَّضِيرِ فَوَجَدَ مِنْهُمْ نَفَرًا عِنْدَ مَنْزِلِهِمْ، فَرَحَّبُوا، فَقَالَ: **إِنَّا جِئْنَاكُمْ لِـخَيْرٍ، إِنَّا أَهْلُ الكِتَابِ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، وَإِنَّ لِأَهْلِ الكِتَابِ عَلَى أَهْلِ الكِتَابِ النَّصْرَ، وَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا بِجَمْعٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِمَّا قَاتَلْتُمْ مَعَنَا أَوْ أَعَرْتُمُونَا سِلَاحًا**. [تحفة الأخيار بترتيب مشكل الآثار للطحاوي ٥/ ٤٦٠-٤٦١، وقال المحقق: رجاله ثقات].

وقبل المعركة أخذوا يصرفون الناس عن الخروج فقالوا لابن أُبي: «**إنك قد نصحتَ محمدًا ﷺ بعدم الخروج، وأشرت عليه برأي من مضى من آبائك، فكان رأيه مع رأيك، ثم أبى أن يقبله، وأطاع الغلمان الذين معه**»، وصادف حديثهم هوى في نفسه، فانخذل عن الاشتراك في غزوة أحد.

٣ ـ رأى النبي ﷺ بحسن سياسته أن مبدأ الوقاية الذي استخدمه ضد القبائل المشركة الغادرة بعد أُحد، يجب أن يطبق ـ أيضًا ـ على بني النضير بعد أن آذوا المسلمين بأقوالهم وأعمالهم، وإلا فستتعرض المدينة للفتن الداخلية، ويتعرض سلطان المسلمين فيها للضعف والاضطراب.

٤ ـ شعر النبي ﷺ أن بني النضير يتربصون به الدوائر، بعد نكبة الرجيع وبئر معونة، وأن هذه النكبة ذكرتهم بانتصار قريش في أحد، وأنستهم فوز المسلمين في بدر وغيرها، فأراد الرسول ﷺ أن يستدرجهم؛ لتتضح له نياتهم، فذهب إليهم في عدد من الصحابة لكي يطلب معاونتهم في دية القتيلين اللذين قتلهما (عمرو بن أمية ﷺ) خطأ غداة مرجعه من بئر معونة. [بنو إسرائيل لطنطاوي ٢٧٩].

٥ ـ محاولة اغتيال النبي ﷺ: وقد تعددت هذه المحاولات من اليهود، منها ما جاء في سنن أبي داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الأَوْثَانَ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالمَدِينَةِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: «**إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِالله لَتُقَاتِلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ، أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ**».

فَلَـمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَـمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُمْ، فَقَالَ ﷺ: «**لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ المَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ**».

فَلَـمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى اليَهُودِ: «**إِنَّكُمْ أَهْلُ الحَلْقَةِ (السلاح) وَالحُصُونِ وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ ـ وَهِيَ الخَلاخِيلُ ـ**»، فَلَـمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: **اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلاثُونَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ المَنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ**، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ.

فَلَـمَّا كَانَ الغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: **إِنَّكُمْ وَاللهِ لا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ**، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا الغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالكَتَائِبِ وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالكَتَائِبِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الجَلاءِ، فَجَلَتْ بَنُو النَّضِيرِ، وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، فَكَانَ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[الحشر: ٦].

يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، لَمْ يَقْسِمْ لأَحَدٍ مِنَ الأَنْصَارِ غَيْرِهِمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ رضي الله عنها». [أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٤)، وصححه الشيخ الألباني، والبيهقي في الدلائل ٣/ ١٧٨ – ١٧٩، وعبد الرزاق في المصنف ٥/ ٣٥٨-٣٥٨٩ رقم ٩٧٣٣، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر].

وَرَوَى ابْنُ مَرْدُوَيْه قِصَّةَ بَنِي النَّضِيرِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى مَعْمَرَ عَنْ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كَتَبَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ قَبْلَ بَدْرٍ يُهَدِّدُونَهُمْ بِإِيوَائِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ أَنْ يَغْزُوهُمْ بِجَمِيعِ العَرَبِ، فَهَمَّ ابْنُ أُبَيٍّ وَمَنْ مَعَهُ بِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا كَادَكُمْ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا كَادَتْكُمْ قُرَيْشٌ، يُرِيدُونَ أَنْ تُلْقُوا بَأْسَكُمْ بَيْنَكُمْ**»، فَلَـمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ عَرَفُوا الحَقَّ فَتَفَرَّقُوا.

فَلَـمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ كَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْش بَعْدَهَا إِلَى اليَهُودِ: **إِنَّكُمْ أَهْلُ الحَلْقَةِ وَالحُصُونِ، يَتَهَدَّدُونَهُمْ**، فَأَجْمَعَ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى الغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: **أُخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَيَلْقَاكَ ثَلاثَةٌ مِنْ**

عُلَمَائِنَا، فَإِنْ آمَنُوا بِكَ اِتَّبَعْنَاكَ، فَفَعَلَ ﷺ، فَاسْتَمَلَ اليَهُودُ الثَّلَاثَةُ عَلَى الخَنَاجِرِ، فَأَرْسَلَتْ اِمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى أَخٍ لَهَا مِنَ الأَنْصَارِ مُسْلِمٍ تُخْبِرُهُ بِأَمْرِ بَنِي النَّضِيرِ، فَأَخْبَرَ أَخُوهَا النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ، وَصَبَّحَهُمْ بِالكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ يَوْمَهُ، ثُمَّ غَدَا عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَحَاصَرَهُمْ، فَعَاهَدُوهُ فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الإِبِلُ إِلَّا السِّلَاحَ، فَاحْتُمِلُوا حَتَّى أَبْوَابَ بُيُوتِهِمْ، فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ فَيَهْدِمُونَهَا، وَيَحْمِلُونَ مَا يُوَافِقُهُمْ مِنْ خَشَبِهَا، وَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ النَّاسِ إِلَى الشَّامِ.

وَكَذَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْن حُمَيْدٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ». [فتح الباري ٧/ ٣٨٥].

وعن محاولة أخرى قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ القَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلجِوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ الله ﷺ عَقَدَ لَهُمَا، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ القَتِيلَيْنِ قَالُوا: **نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ**، ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا: **إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ ـ وَرَسُولُ الله ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ ـ فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا البَيْتِ فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحَنَا مِنْهُ؟**، فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ ـ أَحَدُهُمْ ـ فَقَالَ: **أَنَا لِذَلِكَ**، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولُ الله ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ، رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٠، المغازي للواقدي١/ ٣٦٣-٣٦٤].

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَقَالَ حَيِيُّ بنُ أَخْطَب: **يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ جَاءَكُمْ مُحَمَّدٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يَبْلُغُونَ عَشْرَةً** ـ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بنُ مَعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بنُ الْحُضَيْرِ، وَسَعْدُ بنُ عُبَادَةَ ـ **فَاطرَحُوا عَلَيْهِ حِجَارَةً مِنْ فَوْقِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ تَحْتَهُ فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَجِدُوهُ أَخْلَى مِنْهُ السَّاعَةَ، فَإِنَّهُ إِنْ قُتِلَ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَلَحِقَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قُرَيشٍ بِحَرَمِهِمْ، وَبَقِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، فَمَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصْنَعُوا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَمِنَ الآنَ**». [سبل الهدى للصالحي ٤/ ٤٥٢-٤٥٣].

انْكِشَافُ نِيَّتِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ وَاسْتِعْدَادُهُ لِحَرْبِهِمْ:

فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ القَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى المَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلبَثَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابُهُ (أي استأخره أصحابه) قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ المَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ: «**رَأَيْتُهُ دَاخِلًا المَدِينَةَ**»، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُمْ الخَبَرَ، بِمَا كَانَتْ اليَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الغَدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٠، المغازي للواقدي١/ ٣٦٣-٣٦٤].

وزاد الواقدي: «قَالَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ: **يَا قَوْمِ أَطِيعُونِي هَذِهِ المَرَّةَ، وَخَالِفُونِي الدَّهْرَ، وَالله إِنْ فَعَلْتُمْ لَيُخْبَرَنَّ بِأَنَّا قَدْ غَدَرْنَا بِهِ، وَإِنَّ هَذَا نَقْضُ العَهْدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلا تَفْعَلُوا، أَلا فَوَالله لَوْ فَعَلْتُمْ الَّذِي تُرِيدُونَ لَيَقُومَنَّ بِهَذَا الدِّينِ مِنْهُمْ قَائِمٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ يَسْتَأْصِلُ اليَهُودَ وَيُظْهِرُ دِينَهُ**».

[المغازي للواقدي١/ ٣٦٥].

وَأخرج عبد بن حميد: عَن عِكْرِمَة أَن رَسُولَ الله ﷺ غَدَا يَوْمًا إِلَى النَّضِير لِيَسْأَلَهُمْ كَيفَ الدِّيَةُ فِيهِمْ، فَلَمَّا لَمْ يرَوْا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ كَثِيرَ أَحدٍ أَبْرَمُوا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَيَأْخُذُوا أَصْحَابَهُ أُسَارَى لِيَذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ وَيَبِيعُوهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ جَاءَ مِنْ الْيَهُودِ مِنْ المَدِينَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِ النَّبِي ﷺ قَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَن نَقْتُلَ مُحَمَّدًا وَنَأْخُذَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ قَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ قَرِيبٌ، فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُهُمْ: وَالله لَقَدْ تَرَكْتُ مُحَمَّدًا دَاخِلَ المَدِينَةِ، فَأُسْقِطَ بِأَيْدِيهِمْ.

[الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٨/ ٩٥-٩٦، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٥٣].

وحين تيقن اليهود بنجاة الرسول ﷺ: «قَالَ لَهُمْ كِنَانَةُ بْنُ صُوَيْرَاءَ: **هَلْ تَدْرُونَ لِمَ قَامَ مُحَمَّدٌ؟** قَالُوا: **لا وَالله مَا نَدْرِي، وَمَا تَدْرِي أَنْتَ!** قَالَ: **بَلَى وَالتَّوْرَاةِ، إِنِّي لأَدْرِي، قَدْ أُخْبِرَ مُحَمَّدٌ مَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنْ الغَدْرِ، فَلا تَخْدَعُوا أَنْفُسَكُمْ، وَالله إِنَّهُ لَرَسُولُ الله، وَمَا قَامَ إِلَّا أَنَّهُ أُخْبِرَ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ، وَإِنَّهُ لآخِرُ الأَنْبِيَاءِ، كُنْتُمْ تَطْمَعُونَ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي هَارُونَ، فَجَعَلَهُ اللهُ حَيْثُ شَاءَ، وَإِنَّ كُتُبَنَا وَالَّذِي دَرَسْنَا فِي التَّوْرَاةِ التِي لَمْ تُغَيَّرْ، وَلَمْ تُبَدَّلْ إِنَّ مَوْلِدَهُ بِمَكَّةَ، وَدَارَ هِجْرَتِهِ يَثْرِبُ، وَصِفَتُهُ بِعَيْنِهَا مَا تُخَالِفُ حَرْفًا مِمَّا فِي كِتَابِنَا، وَمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَوْلَى مِنْ مُحَارَبَتِهِ إِيَّاكُمْ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ ظَاعِنِينَ (راحلين) يَتَضَاغَى (يتباكى ويتصايح) صِبْيَانُكُمْ، قَدْ تَرَكْتُمْ دُورَكُمْ خُلُوفًا (أي: غُيبًا لم يبق منهم أحد) وَأَمْوَالَكُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ شَرَفُكُمْ، فَأَطِيعُونِي فِي خُصْلَتَيْنِ وَالثَّالِثَةُ لا خَيْرَ فِيهَا، قَالُوا: مَا هُمَا؟ قَالَ: تُسْلِمُونَ وَتَدْخُلُونَ مَعَ مُحَمَّدٍ، فَتَأْمَنُونَ عَلَى أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ، وَتَكُونُونَ مِنْ عِلِيَّةِ أَصْحَابِهِ (أشرافهم)، وَتَبْقَى بِأَيْدِيكُمْ أَمْوَالُكُمْ، وَلا تُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِكُمْ، قَالُوا: لا نُفَارِقُ التَّوْرَاةَ وَعَهْدَ مُوسَى، قَالَ: فَإِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ اُخْرُجُوا مِنْ بَلَدِي، فَقُولُوا: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَسْتَحِلُّ لَكُمْ دَمًا وَلا مَالًا، وَتَبْقَى أَمْوَالُكُمْ إِنْ شِئْتُمْ بِعْتُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَمْسَكْتُمْ.**

قَالُوا: **أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ،** قَالَ: **أَمَا وَالله إِنَّ الأُخْرَى خَيْرُهُنَّ لِي،** قَالَ: **أَمَا وَالله لَوْلا أَنِّي أَفْضَحُكُمْ لأَسْلَمْتُ، وَلَكِنْ وَالله لا تُغَيَّرُ شَعْثَاءُ بِإِسْلامِي أَبَدًا حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكُمْ** ـ وَابْنَتُهُ شَعْثَاءُ التِي كَانَ حَسَّانٌ ﷺ يَنْسِبُ [يُشَبِّبُ] بِهَا.

فَقَالَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ: **قَدْ كُنْتُ لِمَا صَنَعْتُمْ كَارِهًا، وَهُوَ مُرْسِلٌ إِلَيْنَا أَنْ أُخْرُجُوا مِنْ دَارِي، فَلا تُعَقِّبْ يَا حُيَيُّ كَلامَهُ، وَأَنْعِمْ لَهُ (قال له نعم) بِالْخُرُوجِ فَاخْرُجْ مِنْ بِلادِهِ**، قَالَ: **أَفْعَلُ، أَنَا أَخْرُجُ!**».

[المغازي للواقدي١/ ٣٦٥-٣٦٦].

لم تكن مؤامرة بني النضير، التي أفشلها الله ﷻ تستهدف شخص النبي ﷺ فحسب، بل كانت تستهدف كذلك دولة المدينة والدعوة الإسلامية برمتها؛ لذا صمم محمد ﷺ على محاربة بني النضير، الذين نقضوا العهد والمواثيق معه، وأمر أصحابه بالتهيؤ لقتالهم والسير إليهم.

[ينظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة ص١٩٠].

وقد ذكَّر القرآن الكريم المؤمنين بهذه النعمة الجليلة وكيف نجى الله نبيه ﷺ من مكر يهود بني النضير، قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي الْمَغَازِي: وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتْ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة]. [فتح الباري ٧/ ٣٨٦].

وقد أورد المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها: أخرج الطبري عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، قَالَ: جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بَنِي النَّضِيرَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي عَقْلٍ أَصَابَهُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ﭫ، فَقَالَ: «**أَعِينُونِي فِي عَقْلٍ أَصَابَنِي**»، فَقَالُوا: **نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَأْتِيَنَا وَتَسْأَلَنَا حَاجَةً، اجْلِسْ حَتَّى نُطْعِمَكَ وَنُعْطِيَكَ الَّذِي تَسْأَلُنَا**، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَنْتَظِرُونَهُ، وَجَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَهُوَ رَأْسُ الْقَوْمِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ مَا قَالَ، فَقَالَ حُيَيٌّ لِأَصْحَابِهِ: **لَا تَرَوْنَهُ أَقْرَبَ مِنْهُ الْآنَ، اطْرَحُوا عَلَيْهِ حِجَارَةً فَاقْتُلُوهُ وَلَا تَرَوْنَ شَرًّا أَبَدًا**، فَجَاؤُوا إِلَى رَحًى لَهُمْ عَظِيمَةٍ لِيَطْرَحُوهَا عَلَيْهِ، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِيَهُمْ، حَتَّى جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَأَقَامَهُ مِنْ ثَمَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة]، فَأَخْبَرَ اللهُ ـ عَزَّ ذِكْرُهُ ـ نَبِيَّهُ ﷺ مَا أَرَادُوا بِهِ. [تفسير الطبري ٨/ ٢٢٩].

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسارٍ، وَمُجَاهِدٌ وعِكْرِمَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ [(١)]: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ بَنِي النَّضِيرِ، حِينَ أَرَادُوا أَنْ يُلْقُوا عَلَى رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ الرَّحَى، لَـمَّا جَاءَهُمْ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ العامريَيْنِ، وَوَكَّلُوا عَمْرَو بْنَ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ بِذَلِكَ، وَأَمَرُوهُ إِنْ جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ الْجِدَارِ وَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ أَنْ يُلْقِيَ تِلْكَ الرَّحَى مِنْ فَوْقِهِ، فَأَطْلَعَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى مَا تَمَالَؤُوا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الآيَةَ. [تفسير ابن كثير ٥/ ١٢٩].

---

(١) يقول د/ العمري: «هذه الآثار فيها ضعف ويمكن أن تعتضد لتصبح بمجموعها صالحة للاحتجاج بها». السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ٣٠٦.

وقد رجَّح ابن جرير أن تكون الآية قد نزلت بسبب ما أضمره بنو النضير من كيد وسوء للنبي ﷺ وأصحابه فقال: «وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَى اللهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي اسْتِنْقَاذِهِ نَبِيَّهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، مِمَّا كَانَتْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ هَمَّتْ بِهِ مِنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِ مَنْ مَعَهُ، يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي الدِّيَةِ الَّتِي كَانَ تَحَمَّلَهَا عَنْ قَتِيلَيْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ ﷺ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى بِالصِّحَّةِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ عَقِبَ ذِكْرِ ذَلِكَ بِرَمْيِ الْيَهُودِ بِصَنَائِعِهَا وَقَبِيحِ أَفْعَالِهَا وَخِيَانَتِهَا رَبَّهَا وَأَنْبِيَاءَهَا». [تفسير الطبري ٨/ ٢٣٣].

وقال د/ آل عابد: «ونحن نوافق ابن جرير في ترجيحه لما رجحه، إلا أننا لا نمنع أن تكون الآية الكريمة نزلت بعد تلك الحوادث مجتمعة، فقد تعددت الحوادث والمنزل واحد، كما قال العلماء.

ومعنى الآية الكريمة: أي اذكروا نعمة الله عليكم، التي من أكبر مظاهرها كفه عنكم أيدي اليهود الذين هموا أن يمدوا أيديهم بالسوء إلى نبيكم، وشارفوا أن ينفذوا مؤامرتهم الخبيثة، ولكن الله أحبط مكرهم ونجى نبيكم ﷺ من شرورهم.

ثم أمر ـ سبحانه ـ بتقواه والتوكل عليه فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾.

أي: اتقوا الله ـ أيها المؤمنون ـ في رعاية حقوق نعمته، ولا تخلوا بشكرها، فقد أراكم قدرته، وتوكلوا عليه وحده، فقد أراكم عنايته بكم، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون».

[حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ لآل عابد ١/ ٢٥١، ٢٥٢].

إنذار اليهود بالجلاء عن المدينة:

وقد اعتبر النبي ﷺ ما اعتزم اليهود القيام به من الفتك به غدرًا في ديارهم نقضًا للعهد الذي بينه وبينهم فقرر إجلاءهم من منطقة يثرب اتقاء لشرهم وتخلصًا من مؤامراتهم ودسائسهم.

فقد وجه إليهم إنذارًا بالجلاء عن المدينة، وقد حمل هذا الإنذار إليهم مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الأنصاري ﷺ الذي استدعاه النبي ﷺ وقال له: «**اذْهَبْ إِلَى يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أَنْ أُخْرُجُوا مِنْ بَلَدِهِ، فَلا تُسَاكِنُونِي بِهَا وَقَدْ هَمَمْتُمْ بِما هَمَمْتُمْ بِهِ مِنَ الغَدْرِ بِي، وَقَدْ أَجَّلْتُكُمْ عَشْرًا، فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ**». [المغازي للواقدي ١/ ٣٦٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٥٤].

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ﷺ قَالَ: **إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ بِرِسَالَةٍ، وَلَسْتُ أَذْكُرُهَا لَكُمْ حَتَّى أُعَرِّفَكُمْ شَيْئًا تَعْرِفُونَهُ.**

قَالَ: **أَنْشُدُكُمْ بِالتَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جِئْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَبَيْنَكُمْ التَّوْرَاةُ، فَقُلْتُمْ لِي فِي مَجْلِسِكُمْ هَذَا: يَا ابْنَ مَسْلَمَةَ أَنْ شِئْتَ أَنْ نُغَدِّيَكَ غَدَّيْنَاكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُهَوِّدَكَ هَوَّدْنَاكَ، فَقُلْتُ لَكُمْ: غَدُّونِي وَلا تُهَوِّدُونِي، فَإِنِّي وَاللهِ لا أَتَهَوَّدُ أَبَدًا، فَغَدَّيْتُمُونِي فِي صَحْفَةٍ** (إناء من آنية الطعام، والجمع صِحَاف) **لَكُمْ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا كَأَنَّهَا جَزْعَةٌ** (الْقَلِيل من الشَّيْء)، **فَقُلْتُمْ لِي: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ دِينِنَا إِلَّا أَنَّهُ دِينُ يَهُودَ، كَأَنَّكَ تُرِيدُ الحَنِيفِيَّةَ التِي سَمِعْتَ بِهَا، أَمَا إِنَّ أَبَا عَامِرٍ قَدْ سَخِطَهَا وَلَيْسَ عَلَيْهَا، أَتَاكُمْ صَاحِبُهَا الضَّحُوكُ القَتَّالُ، فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، يَأْتِي مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ، يَرْكَبُ البَعِيرَ، وَيَلْبَسُ الشَّمْلَةَ، وَيَجْتَزِئُ** (يكتفي) **بِالكِسْرَةِ، سَيْفُهُ عَلَى عَاتِقِهِ** (أي: يجعله بعلاقته عليه، لا كما يفعل الترك وغيرهم)، **لَيْسَتْ مَعَهُ آيَةٌ هُوَ يَنْطِقُ بِالحِكْمَةِ، كَأَنَّهُ وَشِيجَتُكُمْ** (الوشيجة: الرحم المشتبكة) **هَذِهِ، وَاللهِ لَيَكُونَنَّ بِقَرْيَتِكُمْ هَذِهِ سَلَبٌ وَقَتْلٌ وَمَثْلٌ.**

قَالُوا: **اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ قُلْنَاهُ لَك، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهِ.**

قَالَ: **قَدْ فَرَغْتُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَقُولُ لَكُمْ: قَدْ نَقَضْتُمْ العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنْ الغَدْرِ بِي،** وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا كَانُوا ارْتَأَوْا مِنْ الرَّأْيِ، وَظُهُورِ عَمْرِو بْنِ جَحَّاشٍ عَلَى البَيْتِ يَطْرَحُ الصَّخْرَةَ، فَأَسْكَتُوا، فَلَمْ يَقُولُوا حَرْفًا.

وَيَقُولُ: اُخْرُجُوا مِنْ بَلَدِي، فَقَدْ أَجَّلْتُكُمْ عَشْرًا فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ.

قَالُوا: **يَا مُحَمَّدُ مَا كُنَّا نَرَى أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا رَجُلٌ مِنَ الأَوْسِ.**

قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: **تَغَيَّرَتِ القُلُوبُ، وَمَحَا الإِسْلامُ العُهُودَ.**

فَمَكَثُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا يَتَجَهَّزُونَ، وَأَرْسَلُوا إِلَى ظَهْرٍ لَهُمْ بِذِي الجَدْرِ تُجْلَبُ، وَتَكَارَوْا مِنْ نَاسٍ مِنْ أَشْجَعَ إِبِلًا، وَأَخَذُوا فِي الجَهَازِ. [المغازي للواقدي ١/ ٣٦٦-٣٦٧].

لقد أسقط في أيدي اليهود، ولم يرو التاريخ أنهم تنصلوا من مسؤولية ما هموا به من الغدر بالنبي ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ**»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ (هو البيت الذي يدرسون فيه)، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَنَادَاهُمْ: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**»، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**»، قَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «**ذَاكُمْ أُرِيدُ**»، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «**اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لله وَلِرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِخْرَاجَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لله وَرَسُولِهِ**».

[البخاري في الجزية (٣١٦٧)، وفي الإكراه (٦٩٤٤)، وفي الاعتصام بالكتاب (٧٣٤٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٥)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٣)، ومسند أحمد ١٥/ ٥١٢ رقم ٩٨٢٦].

وعود المنافقين ورفض اليهود للإنذار:

ولقد انهار اليهود أمام هذا الإنذار الشديد فلم يروا بُدًّا من الرحيل فأخذوا يتجهزون لذلك، فأرسلوا إلى ظهر لهم (ناقلات من الإبل) في مسارحها، واستأجروا إبلًا من قبيلة أشجع استعدادًا لمغادرة المدينة تحت وطأة الإنذار الشديد الذي تلقوه من القائد الأعلى النبي ﷺ.

ولكن زعماء النفاق في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي، أرسلوا إلى هؤلاء اليهود يشجعونهم على البقاء، ويطلبون منهم رفض الإنذار النبوي والاستعداد لحرب المسلمين إذا ما أصروا على إجلائهم بالقوة، وأكد لهم هؤلاء المنافقون مساندتهم عسكريًّا إذا ما شن المسلمون عليهم الحرب.

قال الواقدي: «فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُ ابْنِ أُبَيٍّ، أَتَاهُمْ سُوَيْدٌ وَدَاعِسٌ، فَقَالا: يَقُولُ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ: **لا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَقِيمُوا فِي حُصُونِكُمْ، فَإِنَّ مَعِي أَلْفَيْنِ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرَهُمْ مِنَ العَرَبِ، يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ حِصْنَكُمْ، فَيَمُوتُونَ مِنْ آخِرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُوصَلَ إِلَيْكُمْ، وَتَمُدُّكُمْ قُرَيْظَةُ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْذُلُوكُمْ، وَيَمُدُّكُمْ حُلَفَاؤُكُمْ مِنْ غَطَفَانَ.**

وَأَرْسَلَ ابْنُ أُبَيٍّ إِلَى كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ يُكَلِّمُهُ أَنْ يَمُدَّ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: **لا يَنْقُضُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ رَجُلٌ وَاحِدٌ العَهْدَ.**

فَيَئِسَ ابْنُ أُبَيٍّ مِنْ قُرَيْظَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يُلْحِمَ الأَمْرَ (يجعله يشتد) فِيمَا بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَرَسُولِ الله ﷺ، فَلَمْ يَزَل يُرْسِلُ إِلَى حُيَيٍّ حَتَّى قَالَ حُيَيٌّ: **أَنَا أُرْسِلُ إِلَى مُحَمَّدٍ أُعْلِمُهُ أَنَّا لا نَخْرُجُ مِنْ دَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَلْيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ.**

وَطَمِعَ حُيَيٌّ فِيمَا قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ، وَقَالَ حُيَيٌّ: **نَرْم (نصلح) حُصُونَنَا، ثُمَّ نُدْخِلُ مَاشِيَتَنَا، وَنُدْرِبُ (ندخل الدرب) أَزِقَّتَنَا، وَنَنْقُلُ الحِجَارَةَ إِلَى حُصُونِنَا، وَعِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا يَكْفِينَا سَنَةً، وَمَاؤُنَا وَاتِنٌ (إذا دام ولم ينقطع) فِي حُصُونِنَا لا نَخَافُ قَطْعَهُ، فَتَرَى مُحَمَّدًا يَحْصُرُنَا سَنَةً؟ لا نَرَى هَذَا.**

قَالَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ: **مَنَّتْكَ نَفْسُكَ وَالله يَا حُيَيُّ البَاطِلَ، إِنِّي وَالله لَوْلا أَنْ يُسَفَّهَ رَأْيُكَ، أَوْ يُزْرَى بِكَ لاعْتَزَلْتُكَ بِمَنْ أَطَاعَنِي مِنَ اليَهُودِ، فلا تَفْعَلْ يَا حُيَيُّ، فَوَالله إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، وَنَعْلَمُ مَعَكَ أَنَّهُ لَرَسُولُ الله، وَإِنَّ صِفَتَهُ عِنْدَنَا، فَإِنْ لَمْ نَتَّبِعْهُ وَحَسَدْنَاهُ حَيْثُ خَرَجَتْ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي هَارُونَ، فَتَعَالَ فَنَقْبَلَ مَا أَعْطَانَا مِنَ الأَمْنِ وَنَخْرُجَ مِنْ بِلادِهِ، فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّكَ خَالَفْتَنِي فِي الغَدْرِ بِهِ، فَإِذَا كَانَ أَوَانُ الثَّمَرِ جِئْنَا أَوْ جَاءَ مَنْ جَاءَ مِنَّا إِلَى ثَمَرِهِ فَبَاعَ أَوْ صَنَعَ مَا بَدَا لَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَكَأَنَّا لَمْ نَخْرُجْ مِنْ بِلادِنَا إِذَا كَانَتْ أَمْوَالُنَا بِأَيْدِينَا؛ إِنَّا إِنَّمَا شَرُفْنَا عَلَى قَوْمِنَا بِأَمْوَالِنَا وَفِعَالِنَا، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُنَا مِنْ أَيْدِينَا كُنَّا كَغَيْرِنَا مِنَ اليَهُودِ فِي الذِّلَّةِ وَالإِعْدَامِ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا إِنْ سَارَ إِلَيْنَا فَحَصَرَنَا فِي هَذِهِ الصَّيَاصِي يَوْمًا وَاحِدًا، ثُمَّ عَرَضْنَا عَلَيْهِ مَا أَرْسَلَ بِهِ إِلَيْنَا، لَمْ يَقْبَلْهُ وَأَبَى عَلَيْنَا.**

قَالَ حُيَيٌّ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَحْصُرُنَا إِلَّا إِنْ أَصَابَ مِنَّا غُرَّةً (الفرصة، وهي النوبة)، وَإِلا انْصَرَفَ، وَقَدْ وَعَدَنِي ابْنُ أُبَيٍّ مَا قَدْ رَأَيْتَ.

فَقَالَ سَلَّامٌ: لَيْسَ قَوْلُ ابْنِ أُبَيٍّ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا يُرِيدُ ابْنُ أُبَيٍّ أَنْ يُوَرِّطَكَ (الوَرْطة: الهلاك والأمر الشاق) فِي الْهَلَكَةِ حَتَّى تُحَارِبَ مُحَمَّدًا، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ وَيَتْرُكُكَ، قَدْ أَرَادَ مِنْ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ النَّصْرَ فَأَبَى كَعْبٌ، وَقَالَ: لا يَنْقُضُ العَهْدَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَأَنَا حَيٌّ، وَإِلَّا فَإِنَّ ابْنَ أُبَيٍّ قَدْ وَعَدَ حُلَفَاءَهُ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ مِثْلَ مَا وَعَدَكَ حَتَّى حَارَبُوا وَنَقَضُوا العَهْدَ وَحَصَرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي صَيَاصِيهِمْ، وَانْتَظَرُوا نُصْرَةَ ابْنِ أُبَيٍّ، فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، وَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِمْ فَحَصَرَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَابْنُ أُبَيٍّ لا يَنْصُرُ حُلَفَاءَهُ، وَمَنْ كَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَنَحْنُ لَمْ نَزَل نَضْرِبُهُ بِسُيُوفِنَا مَعَ الأَوْسِ فِي حَرْبِهِمْ كُلِّهَا، إِلَى أَنْ تَقَطَّعَتْ حَرْبُهُمْ فَقَدِمَ مُحَمَّدٌ فَحَجَزَ بَيْنَهُمْ، وَابْنُ أُبَيٍّ لا يَهُودِيٌّ عَلَى دِينِ يَهُودَ، وَلا عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ، وَلا هُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَكَيْفَ تَقْبَلُ مِنْهُ قَوْلًا قَالَهُ؟ قَالَ حُيَيٌّ: تَأْبَى نَفْسِي إِلَّا عَدَاوَةَ مُحَمَّدٍ وَإِلَّا قِتَالَهُ.

قَالَ سَلَّامٌ: فَهُوَ وَاللهِ جَلاؤنَا مِنْ أَرْضِنَا، وَذَهَابُ أَمْوَالِنَا، وَذَهَابُ شَرَفِنَا، أَوْ سِبَاءُ ذَرَارِيِّنَا مَعَ قَتْلِ مُقَاتِلِينَا.

فَأَبَى حُيَيٌّ إِلَّا مُحَارَبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ سَارُوكُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ ـ وَكَانَ ضَعِيفًا عِنْدَهُمْ فِي عَقْلِهِ كَأَنَّ بِهِ جِنَّةٌ ـ: يَا حُيَيُّ، أَنْتَ رَجُلٌ مَشْؤُومٌ تُهْلِكُ بَنِي النَّضِيرِ!

فَغَضِبَ حُيَيٌّ، وَقَالَ: كُلُّ بَنِي النَّضِيرِ قَدْ كَلَّمَنِي حَتَّى هَذَا الْمَجْنُونُ.

فَضَرَبَهُ إِخْوَتُهُ، وَقَالُوا لِحُيَيٍّ: أَمْرُنَا لأَمْرِكَ تَبَعٌ، لَنْ نُخَالِفَكَ.

فَأَرْسَلَ حُيَيٌّ أَخَاهُ جُدَيَّ بْنَ أَخْطَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّا لا نَبْرَحُ مِنْ دَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ ابْنَ أُبَيٍّ فَيُخْبِرَهُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَيَأْمُرَهُ بِتَعْجِيلِ مَا وَعَدَ مِنَ النَّصْرِ.

فَذَهَبَ جُدَيٌّ بْنُ أَخْطَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي أَرْسَلَهُ حُيَيٌّ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُ، فَأَظْهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّكْبِيرَ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ لِتَكْبِيرِهِ، وَقَالَ: «حَارَبَتْ الْيَهُودُ»، وَخَرَجَ جُدَيٌّ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ مَعَ نَفِيرٍ مِنْ حُلَفَائِهِ، وَقَدْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، فَيَدْخُلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَبِيهِ وَعَلَى النَّفَرِ مَعَهُ، وَعِنْدَهُ جُدَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَلَبِسَ دِرْعَهُ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَخَرَجَ يَعْدُو، فَقَالَ جُدَيٌّ: لـمَّا رَأَيْتَ ابْنَ أُبَيٍّ جَالِسًا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ وَابْنُهُ عَلَيْهِ السِّلاحُ يَئِسْتُ مِنْ نَصْرِهِ، فَخَرَجْتُ أَعْدُو إِلَى حُيَيٍّ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ؟ قُلْتُ: الشَّرُّ! سَاعَةَ أَخْبَرْتُ مُحَمَّدًا بِمَا أَرْسَلْتَ بِهِ إِلَيْهِ أَظْهَرَ التَّكْبِيرَ، وَقَالَ: «حَارَبَتْ الْيَهُودُ»، فَقَالَ: هَذِهِ مَكِيدَةٌ مِنْهُ، قَالَ: وَجِئْتُ ابْنَ أُبَيٍّ فَأَعْلَمْتُهُ، وَنَادَى مُنَادِي مُحَمَّدٍ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ.

قَالَ: وَمَا رَدَّ عَلَيْكَ ابْنُ أُبَيٍّ؟ فَقَالَ جُدَيٌّ: لَمْ أَرَ عِنْدَهُ خَيْرًا، قَالَ: أَنَا أُرْسِلُ إِلَى حُلَفَائِي فَيَدْخُلُونَ مَعَكُمْ. [المغازي للواقدي ١/ ٣٦٨ - ٣٧٠، تاريخ الطبري ٢/ ٥٥٣].

ضرب الحصار على بني النضير:

ولما بلغ النبي ﷺ رفْض اليهود إنذاره لم ير بدًّا من ضرب الحصار عليهم فأعلن التعبئة وأصدر أوامره بالزحف على معاقلهم.

وقد تحركت القوات الإسلامية من المدينة بقيادة النبي ﷺ نفسه وضربت الحصار على حصون بني النضير وقلاعه التي اعتصموا بها.

قال الواقدي: «وَسَارَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ فَصَلَّى العَصْرَ بِفَضَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ الله ﷺ وَأَصْحَابَهُ قَامُوا عَلَى جُدُرِ حُصُونِهِمْ مَعَهُمُ النَّبْلُ وَالحِجَارَةُ، وَاعْتَزَلَتْهُمْ قُرَيْظَةُ فَلَمْ تُعِنْهُمْ بِسِلاحٍ وَلا رِجَالٍ وَلَمْ يَقْرَبُوهُمْ، وَجَعَلُوا يَرْمُونَ ذَلِكَ اليَوْمَ بِالنَّبْلِ وَالحِجَارَةِ حَتَّى أَظْلَمُوا، وَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَقْدِمُونَ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ فِي حَاجَتِهِ، حَتَّى تَتَامُّوا عِنْدَ صَلاةِ العِشَاءِ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ العِشَاءَ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الدِّرْعُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلِيًّا ﷺ عَلَى العَسْكَرِ، وَيُقَالُ: أَبَا بَكْرٍ ﷺ.

وَبَاتَ المُسْلِمُونَ يُحَاصِرُونَهُمْ، يُكَبِّرُونَ حَتَّى أَصْبَحُوا، ثُمَّ أَذَّنَ بِلالٌ ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَغَدَا رَسُولُ الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ الذِينَ كَانُوا مَعَهُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ بِفَضَاءِ بَنِي خَطْمَةَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ وَحُمِلَتْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قُبَّةٌ مِنْ أَدَمٍ. [**القبة من الخيام**: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. **والأديم**: الجلد، وهي بفتح الهمزة والدال: جلد مدبوغ. شرح المواهب ٣/ ٩٣].

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، قَالَ: كَانَتْ القُبَّةُ مِنْ غَرَبٍ (ضرب من الشجر) عَلَيْهَا مُسُوحٌ، أَرْسَلَ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ، فَأَمَرَ بِلالًا ﷺ فَضَرَبَهَا فِي مَوْضِعِ المَسْجِدِ الصَّغِيرِ الَّذِي بِفَضَاءِ بَنِي خَطْمَةَ، وَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ القُبَّةَ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ اليَهُودِ يُقَالُ لَهُ: عَزْوَكُ، وَكَانَ أَعْسَرَ رَامِيًا، فَرَمَى فَبَلَغَ نَبْلُهُ قُبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ بِقُبَّتِهِ فَحُوِّلَتْ إِلَى مَسْجِدِ الفَضِيخِ، وَتَبَاعَدَتْ مِنَ النَّبْلِ.

وَأَمْسَوْا فَلَمْ يَقْرَبْهُمْ ابْنُ أُبَيٍّ وَلا أَحَدٌ مِنْ حُلَفَائِهِ، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، وَيَئِسَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ نَصْرِهِ، وَجَعَلَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ وَكِنَانَةُ بْنُ صُوَيْرَاءَ يَقُولانِ لِحُيَيٍّ: **أَيْنَ نَصْرُ ابْنِ أُبَيٍّ كَمَا زَعَمْتَ؟** قَالَ حُيَيٌّ: **فَمَا أَصْنَعُ؟ هِيَ مَلْحَمَةٌ كُتِبَتْ عَلَيْنَا**». [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٠-٣٧٢].

وقد كانت قلاع وحصون بني النضير على غاية من المناعة والتحصين، وقد استفاد منها اليهود استفادة كبيرة في المقاومة.

ولما رأى القائد الأعلى النبي ﷺ شدة مقاومة اليهود واستفادتهم من مناعة هذه الحصون لجأ النبي ﷺ إلى وسيلة أضعف بها حماسة اليهود في المقاومة كإجراء من إجراءات الحرب.

[غزوة الأحزاب لباشميل ٥٣-٥٤].

عملية إحراق نخيل اليهود:

لقد كان اليهود ـ منذ عُرفوا ـ مشهورين بعبادة المادة والحرص الشديد على اقتناء الأموال، وكانوا يملكون من بساتين المدينة ونخيلها أحسنها.

وكما هي ظروف الحرب استولى المسلمون ـ أثناء عملية الحصار ـ على هذه البساتين والنخيل، وكان بوسع المسلمين أن يكتفوا بهذا الاستيلاء الذي به ـ كما هي قاعدة الحرب المتبعة ـ أصبحت هذه البساتين والنخيل من أملاك المسلمين، إذ في وسع المسلمين بعد هذا الاستيلاء أن يستمروا في محاصرة اليهود ويمنعوهم من الانتفاع بثمار هذه البساتين والنخيل.

ولكن المسلمين ـ وعلى رأسهم القائد الأعلى النبي ﷺ ـ على ما يظهر كانوا يعرفون طمع اليهود وحبهم المفرط للمال؛ لذلك فقد أمر النبي ﷺ بالقيام بعملية أزعج بها اليهود المحاصرين حيث أمر بالبدء في قطع نخيلهم وتحريقها. [الأحزاب لباشميل ٥٤].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: حَرَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ البُوَيْرَةُ (اسم لنخل بني النضير)، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر] (١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ البُوَيْرَةُ، وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ رضي الله عنه:

---

(١) البخاري في المغازي (٤٠٣١)، وفي التفسير (٤٨٨٤)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٤٦)، وأبو داود في الجهاد (٢٦١٥)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٣٠٢)، وفي الجهاد والسير (١٥٥٢)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٤)، وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما (٦٠١٨ و٦٢١٥)، السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٨٣. السنن الكبرى للنسائي ٦/ ١٨١، ٤٨٣. دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٨٤، وقال الترمذي: وَفِي البَاب عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلمِ إِلَى هَذَا وَلَمْ يَرَوْا بَأْسًا بِقَطْعِ الأَشْجَارِ وَتَخْرِيبِ الحُصُونِ، وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ الأَوْزَاعِيِّ، قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: وَنَهَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه أَنْ يَقْطَعَ شَجَرًا مُثْمِرًا أَوْ يُخَرِّبَ عَامِرًا، وَعَمِلَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا بَأْسَ بِالتَّحْرِيقِ فِي أَرْضِ العَدُوِّ وَقَطْعِ الأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ، وقَالَ أَحْمَدُ: وَقَدْ تَكُونُ فِي مَوَاضِعَ لَا يَجِدُونَ مِنْهُ بُدًّا، فَأَمَّا بِالعَبَثِ فَلَا تُحَرَّقْ، وقَالَ إِسْحَقُ: التَّحْرِيقُ سُنَّةٌ إِذَا كَانَ أَنْكَى فِيهِمْ. وبدون ذكر الآية رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٢١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٤٦)، والدارمي في السير (٢٤٦٠)، ومسند أحمد (٤٥٣٢، ٥١٣٦، ٥٥٢٠، ٥٥٨٢، ٦٠٥٤، ٦٢٥١).

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

[البخاري في المزارعة (٢٣٢٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٤٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٥)].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، قَالَ: وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

قَالَ: فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ:

أَدَامَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ وَحَرَّقَ فِي طَرَائِقِهَا السَّعِيرُ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ وَتَعْلَمُ أَيَّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ

[البخاري في المغازي (٤٠٣٢)]. (١)

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ قَالَ: اللِّينَةُ النَّخْلَةُ ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ قَالَ: اسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ، قَالَ: وَأُمِرُوا بِقَطْعِ النَّخْلِ فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: قَدْ قَطَعْنَا بَعْضًا وَتَرَكْنَا بَعْضًا، فَلَنَسْأَلَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: هَلْ لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْرٍ، وَهَلْ عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْرٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ الآيَةَ. [الترمذي في تفسير القرآن (٣٣٠٣)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَرَوَى

(١) قال الصالحي: «قال الحافظ: ونسبة هذه الأبيات لحسان بن ثابت رضي الله عنه وجوابها لأبي سفيان بن الحارث هو المشهور كما في الصحيح، ونقل أبو الفتح عن أبي عمرو الشيباني أن الذي قال «وهان على سراة بني لؤي» هو أبو سفيان بن الحارث، وإنما قال: «عز» بدل «هان» وأن الذي أجابه بقوله: «أدام الله ذلك من صنيع» البيتين هو حسان، قال: وهو أشبه من الرواية التي وقعت في البخاري.

قال الحافظ ولم يذكر مستندًا للترجيح: والذي يظهر أن الذي في الصحيح أصح، وذلك أن قريشًا كانوا يظاهرون كل من عادى رسول الله ﷺ، ويعدونهم النصر والمساعدة، فلما وقع لبني النضير من الخذلان ما وقع قال حسان الأبيات المذكورة، توبيخًا لقريش، وهم بنو لؤي كيف خذلوا أصحابهم. وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان قال ذلك في غزوة بني قريظة، وإنما ذكر بني النضير استطرادًا، وستأتي الأبيات بكمالها في غزوة بني قريظة.

وفي جواب أبي سفيان بن الحارث في قوله «وتعلم أي أرضينا تضير» ما يرجح ما وقع في الصحيح؛ لأن أرض بني النضير تجاور أرض الأنصار، فإذا خربت أضرت بما جاورها بخلاف أرض قريش، فإنها بعيدة منها بعدًا شديدًا، فلا نبالي بخرابها، فكأن أبا سفيان يقول: تخريب أرض بني النضير وتحريقها إنما يضر أرض من جاورها، وأرضكم التي تجاورها، فهي التي تتضرر لا أرضنا، ولا يتهيأ مثل هذا في عكسه إلا بتكلف.

وكان من أنكر استبعد أن يدعو أبو سفيان بن الحارث على أرض الكفرة مثله بالتحريق في قوله: «أدام الله ذلك من صنيع» والجواب عنه أن اسم الكفر وإن جمعهم لكن العداوة الدينية كانت قائمة بينهم؛ لما بين أهل الكتاب وعبدة الأوثان من التباين، وأيضًا فقوله: «وحرق في نواحيها السعير» يريد بنواحيها المدينة، فيرجع ذلك الدعاء على المسلمين أيضًا». سبل الهدى والرشاد ٤/ ٤٧١-٤٧٢.

بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مُرْسَلًا، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا. قَالَ أَبُو عِيسَى: سَمِعَ مِنِّي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَعِيلَ هَذَا الحَدِيثَ].

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ يَحْمِلُ التَّمْرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَقَامُوا فِي حِصْنِهِمْ وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّخْلِ فَقُطِعَتْ وَحُرِقَتْ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى قَطْعِهَا رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ أَبَا لَيْلَى المَازِنِيَّ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَّامٍ رضي الله عنهما، فَكَانَ أَبُو لَيْلَى يَقْطَعُ العَجْوَةَ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَّامٍ يَقْطَعُ اللَّوْنَ [1]، فَقِيلَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو لَيْلَى: كَانَتْ العَجْوَةُ أَحْرَقَ لَهُمْ، وَقَالَ ابْنُ سَلَّامٍ: قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ اللهَ سَيُغْنِمُهُ أَمْوَالَهُمْ، وَكَانَتْ العَجْوَةُ خَيْرَ أَمْوَالِهِمْ، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ رِضَاءً بِمَا صَنَعْنَا جَمِيعًا، ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أَلْوَانِ النَّخْلِ لِلَّذِي فَعَلَ ابْنُ سَلَّامٍ، ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾، يَعْنِي العَجْوَةَ، ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وَقَطَعَ أَبُو لَيْلَى العَجْوَةَ، ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾، يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ رِضَاءً مِنَ اللهِ بِمَا صَنَعَ الفَرِيقَانِ جَمِيعًا، فَلَمَّا قُطِعَتْ العَجْوَةُ شَقَّ النِّسَاءُ الجُيُوبَ، وَضَرَبْنَ الخُدُودَ، وَدَعَوْنَ بِالوَيْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَهُنَّ؟**» فَقِيلَ: يَجْزَعْنَ عَلَى قَطْعِ العَجْوَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِثْلَ العَجْوَةِ جُزِعَ عَلَيْهِ**»، ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**العَجْوَةُ وَالعَتِيقُ ـ الفَحْلُ الَّذِي يُؤَبَّرُ بِهِ النَّخْلُ ـ مِنْ الجَنَّةِ، وَالعَجْوَةُ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ**».

فَلَمَّا صِحْنَ صَاحَ بِهِنَّ أَبُو رَافِعٍ سَلَّامٌ: **إِنْ قُطِعَتْ العَجْوَةُ هَا هُنَا، فَإِنَّ لَنَا بِخَيْبَرَ عَجْوَةً**، قَالَتْ عَجُوزٌ مِنْهُنَّ: **خَيْبَرُ! يُصْنَعُ بِهَا مِثْلُ هَذَا**، فَقَالَ أَبُو رَافِعٍ: **فَضَّ اللهُ فَاكِ! إِنَّ حُلَفَائِي بِخَيْبَرَ لَعَشَرَةُ آلافِ مُقَاتِلٍ**، فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَوْلُهُ فَتَبَسَّمَ. [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٢-٣٧٣].

عدم جدية إحراق النخيل:

ولم يكن المسلمون ـ على ما يظهر ـ جادين في قطع النخيل وإحراقه وإنما يقصدون إزعاج اليهود الذين لا يفزعهم شيء مثل ضياع المال.

يدلنا على ذلك أن النبي ﷺ ـ كما ثبت في كتب السيرة ـ لم يأمر بالشروع في إتلاف إلا أردأ أنواع نخيل اليهود الذي لا يقتاتون منه، وهو نوع (اللينة) وهو نوع يخالف نوع العجوة والبرني الذي كان الغذاء الرئيس لأهل المدينة.

فإن (اللينة) من النخل إنما كان ثمرها ـ على ما يظهر ـ في الغالب علفًا للجمال وغيرها، قال السهيلي ـ عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ الآية: اللينة (بكسر اللام) ألوان التمر ما عدا العجوة

---

(١) **اللون**: نوع من النخل، وقيل: هو الدقل، وقيل: النخل كله ما خلا البرني والعجوة، ويسميه أهل المدينة الألوان، واحدته لينة، وأصله لونة فقلب الواو ياء. النهاية لابن الأثير ٤/ ٧٠.

والبرني، ثم قال: ففي هذه الآية أن النبي ﷺ لم يحرق من نخلهم (أي اليهود) إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يقتاتون العجوة. ا. هـ.

ولقد نجحت خطة الإزعاج هذه التي اتبعها النبي ﷺ، إذ لم يكد يرى هؤلاء اليهود الدخان يتصاعد من جذوع نخيلهم وفروع هذه النخيل تتساقط من جراء القطع حتى سادهم الذعر واجتاحتهم موجة من الارتباك خوفًا على نخيلهم، وشرعوا يفاوضون في التسليم.

مع أنهم لو فكروا قليلًا لتبين لهم أن هذا النخيل لم يعد من ممتلكاتهم بعد أن استولى عليه الجيش الإسلامي المحاصِر الذي ما قام بالحصار إلا لإجبارهم على الجلاء من المدينة، فلو أدرك اليهود هذا لما ارتاعوا ولما ارتبكوا لمجرد البدء في عملية الحرق والقطع التي قام بها الجيش الإسلامي، ولما أثر ذلك على مقاومتهم بتلك السرعة، ولكنهم اليهود الذين لا يقدسون شيئًا مثل المال.

[غزوة الأحزاب لباشميل ٥٤-٥٥].

احتجاج اليهود على حرق النخيل:

وقد احتج اليهود على عملية القطع والحرق احتجاجًا شديدًا، فرفض احتجاجهم، ولم لا يرفض؟ أليست هي الحرب، كما أن بعض المسلمين تحرجوا عندما صدرت الأوامر النبوية بالشروع في القطع والحرق، قال السهيلي: ووقع في نفوس بعض المسلمين من هذا (أي الأمر بالقطع والحرق) شيء فأنزل الله تعالى مؤيدًا رسوله ﷺ في هذه العملية قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾[الحشر]. [غزوة الأحزاب لباشميل ٥٦].

وَجَزِعُوا عَلَى قَطْعِ العَجْوَةِ فَجَعَلَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ يَقُولُ: **يَا حُيَيُّ، العَذْقُ خَيْرٌ مِنْ العَجْوَةِ، يُغْرَسُ فَلا يُطْعِمُ ثَلاثِينَ سَنَةً يُقْطَعُ!** فَأَرْسَلَ حُيَيٌّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ كُنْتَ تَنْهَى عَنْ الفَسَادِ! لِمَ تَقْطَعُ النَّخْلَ؟ نَحْنُ نُعْطِيكَ الَّذِي سَأَلْتَ، وَنَخْرُجُ مِنْ بِلادِكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا أَقْبَلُهُ اليَوْمَ، وَلَكِنْ أُخْرُجُوا مِنْهَا وَلَكُمْ مَا حَمَلَتِ الإِبِلُ إِلَّا الحَلقَةُ** (السلاح كله، أو خاص بالدروع)».

فَقَالَ سَلَّامٌ: **اقْبَلْ وَيْحَكَ، قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَ شَرًّا مِنْ هَذَا**، فَقَالَ حُيَيٌّ: **مَا يَكُونُ شَرًّا مِنْ هَذَا؟** قَالَ سَلَّامٌ: **يَسْبِي الذُّرِّيَّةَ وَيَقْتُلُ المُقَاتِلَةَ مَعَ الأَمْوَالِ، فَالأَمْوَالُ اليَوْمَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا إِذَا لَحِمَنَا هَذَا الأَمْرَ مِنْ القَتْلِ وَالسِّبَاءِ**، فَأَبَى حُيَيٌّ أَنْ يَقْبَلَ يَوْمًا، أَوْ يَوْمَيْنِ. [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٣].

نجاح المناورة وتشديد الحصار على اليهود:

وهكذا نجحت المناورة التي قام بها الجيش الإسلامي والتي بدأت بقطع وحرق الرديء من نخيل اليهود، فقد جزع اليهود جزعًا شديدًا، وتأكد لديهم أن النبي ﷺ لن يتركهم حتى يرحلوا عن المدينة، أو

يبيدهم بعدما اتضح له منهم من خيانة للعهد ونقض للمعاهدة بتدبيرهم المؤامرة الخبيثة التي كانت تستهدف حياته الكريمة بالذات فشرعوا في المفاوضة.

وقد انتظر اليهود (عبثًا) مسارعة المنافقين وحلفائهم من غطفان لنجدتهم كما وعدهم بذلك رأس النفاق عبد الله بن أبي، ولكن بدون جدوى.

فقد خذلهم عبد الله بن أبي وجلس في بيته بعد أن ورطهم.

أما غطفان فبالطبع لم يأت منهم أحد، فاستحكمت حلقات الورطة على بني النضير بعد أن يئسوا من نجدة المنافقين لهم، فأسقط في أيديهم، وقذف الله الرعب في قلوبهم.

وشدد المسلمون الحصار وقاوم اليهود وصاروا يرمون المسلمين من حصونهم بالنبال والحجارة، وقد ضرب النبي ﷺ خيمته في مقر قيادته حول الحصون، فركز رماة بني النضير نبالهم على خيمة النبي ﷺ إلا أن أكثر هذه النبال لم يصل. [الأحزاب لباشميل ٥٦-٥٧].

قتلى اليهود في الحصار:

استدعى اليهود أحد رماتهم المشهورين ويُدعى عَزْوَك، وكان أعسر راميًا شديدَ النزع يبلغ نبله ما لا يبلغه نبل غيره، فطلبوا منه أن يجعل خيمة الرسول ﷺ هدفًا لنباله ففعل، وأخذت نبال هذا اليهودي تتساقط على خيمة النبي القائد ﷺ، وعند ذلك أمر النبي ﷺ بنقل مقر قيادته إلى مكان يكون في مأمن من نبال هذا اليهودي الرامي.

«وَلَزِمَ رَسُولُ الله ﷺ الدِّرْعَ، وَبَاتَ وَظَلَّ مُحَاصِرَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنْ اللَّيَالِي فُقِدَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام حَيْنَ قَرُبَ العِشَاءُ، فَقَالَ النَّاسُ: **مَا نَرَى عَلِيًّا يَا رَسُولَ الله!** قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ فَإِنَّهُ فِي بَعْضِ شَأْنِكُمْ!**»، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ بِرَأْسِ عَزْوَكَ، فَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنِّي كَمَنْتُ لِهَذَا الخَبِيثِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا شُجَاعًا، فَقُلْتُ: مَا أَجْرَأَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِذَا أَمْسَيْنَا يَطْلُبُ مِنَّا غِرَّةً، فَأَقْبَلَ مُصْلِتًا سَيْفَهُ فِي نَفَرٍ مِنْ اليَهُودِ، فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ، وَأَجْلَى أَصْحَابَهُ وَلَمْ يَبْرَحُوا قَرِيبًا، فَإِنْ بَعَثْتَ مَعِيَ نَفَرًا رَجَوْتُ أَنْ أَظْفَرَ بِهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَبَا دُجَانَةَ وَسَهْلَ ابْنَ حُنَيْفٍ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَدْرَكُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا حِصْنَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ وَأَتَوْا بِرُؤُوسِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِرُؤُوسِهِمْ فَطُرِحَتْ فِي بَعْضِ بِئَارِ بَنِي خَطْمَةَ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٠-٣٧٢].

اتفاقية الجلاء:

وحاصرهم رسول الله ﷺ، قال محمد بن عمر وابن سعد، والبلاذري، وأبو معشر، وابن حبان: خمسة عشر يومًا، وقال ابن إسحاق وأبو عمرو: ست ليال، وقال سليمان التيمي: قريبًا من عشرين ليلة، وقال ابن الكلاع: ثلاث وعشرين ليلة، وعن عائشة: خمس وعشرين حتى أجلاهم.

[سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٦٠-٤٦١].

قال الزرقاني: «وجمع شيخنا بأن حصار الستة كان وهم مصرون على الحرب؛ طمعًا فيما منَّاهم به المنافقون، وما زاد إلى الخمسة عشر كانوا آخذين في أسباب الخروج، وفيما بعد خرجوا في أوقات مختلفة، فكان آخر خروجهم خمسة وعشرين». [شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٢/ ٥١١].

لم يستمر اليهود في المقاومة طويلًا، فقد خارت قواهم إذ لم يمض على ضرب الحصار عليهم أكثر من أيام معدودة حتى بعثوا بمندوبهم إلى النبي ﷺ للتفاوض بشأن تنفيذ ما طلبه منهم في إنذاره من الجلاء عن المدينة.

وقَبِل النبي ﷺ التفاوض، وقابل وفد اليهود في مقر قيادته فكانت نهاية هذه المفاوضة اتفاقية الجلاء التي تتضمن ما يلي:

١ ـ أن يجلو يهود بني النضير عن منطقة يثرب جلاء تامًّا إلى أي مكان يشاؤون.

٢ ـ أن يسلم اليهود للمسلمين كل ما يمتلكون من سلاح بكافة أنواعه، ويكونوا ساعة جلائهم من يثرب مجردين من السلاح تمامًا.

٣ ـ لليهود أن يحملوا من أموالهم ما يقدرون على حمله (ما عدا السلاح) مهما كانت قيمة أو نوع هذا المال.

٤ ـ بعد الذي يقدر اليهود على حمله من المال يكون كل ما تبقى من أموالهم المنقولة وغير المنقولة فيئًا للمسلمين وملكًا من أملاكهم.

٥ ـ على القيادة الإسلامية في المدينة أن تضمن ليهود بني النضير سلامة أرواحهم ما داموا داخل المنطقة الخاضعة لسلطان المسلمين. [غزوة الأحزاب لباشميل ٥٨].

كيف تم إجلاء بني النضير:

ونتيجة لاتفاقية الجلاء هذه، شرع يهود بني النضير في الجلاء عن المدينة.

«وَوَلِيَ إِخْرَاجَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ لَنَا دُيُونًا عَلَى النَّاسِ إِلَى آجَالٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعَجَّلُوا، وَضَعُوا**»، فَكَانَ لأَبِي رَافِعٍ سَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ عَلَى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ عِشْرُونَ وَمِائَةُ دِينَارٍ إِلَى سَنَةٍ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَخْذِ رَأْسِ مَالِهِ ثَمَانِينَ دِينَارًا، وَأَبْطَلَ مَا فَضَلَ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٤].

وصاروا يحملون على الإبل كل ما يقدرون على حمله، حتى إن أحدهم صار يعمد إلى عتبة باب داره فيخلعها ثم يضعها على ظهر البعير فينطلق.

وكان يهود بني النضير من أكثر أهل المدينة ثراء، وقد أوقروا ستمائة بعير من الأموال التي قدروا على حملها، وكانوا بالطبع يتخيرون في النقل ما خف حمله وغلا ثمنه، فحملوا معهم كميات هائلة من الذهب والفضة، حتى إن سلام بن أبي الحقيق وحده ـ كما يقول صاحب السيرة الحلبية ـ حمل معه جلد ثور مملوءًا ذهبًا وفضة، وكان عند خروجه مخاطبًا المسلمين في حنق يشبه التهديد: **هَذَا مِمَّا نَعُدُّهُ لِخَفْضِ الأَرْضِ وَرَفْعِهَا، فَإِنْ يَكُنْ النَّخْلُ قَدْ تَرَكْنَاهَا فَإِنَّا نَقْدَمُ عَلَى نَخْلٍ بِخَيْبَرَ** (١).

وكان اليهود عند مغادرتهم المدينة يعمدون إلى سُقف بيوتهم وعمدها وجدرانها فينقضونها لئلا يستفيد منها المسلمون. [غزوة الأحزاب لباشميل ٥٨-٥٩].

عن مقاتل بن حيان، قول الله ﷻ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: كان النبي ﷺ يقاتلهم، فإذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها؛ ليتسع المكان للقتال، وكانت اليهود إذا غُلبوا على درب أو دار نقبوها من أدبارها ثم حصنوها ودرَّبوها، يقول الله ﷻ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢﴾[الحشر].

وقوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ يعني باللينة النخلة، وهي أعجب إلى اليهود من الوصيف، يقال لثمرها اللون، فقالت اليهود عند قطع النبي ﷺ نخلهم، وعقْر شجرهم: يا محمد، زعمت أنك تريد الإصلاح، أفمن الإصلاح عقر الشجر وقطع النخل والفساد؟ فشق ذلك على النبي ﷺ، ووجد المسلمون من قولهم في أنفسهم من قطعهم النخل خشية أن يكون فسادًا، فقال بعضهم لبعض: لا تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا، فقال الذين يقطعونها: نغيظهم بقطعها، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ يعني: النخل، ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وما تركتم ﴿قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ فبإذن الله، فطابت نفس النبي ﷺ وأنفس المؤمنين، ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ يعني: أهل النضير، فكان قطع النخل وعقر الشجر خزيًا لهم، ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَاصَرَهُمْ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، فَأَعْطَوْهُ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، وَأَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَأَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى أَذْرِعَاتِ الشَّامِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرًا وَسِقَاءً، وَالْجَلَاءُ: إِخْرَاجُهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى.

[دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٥٩].

---

(١) وهذا القول يدل بوضوح على أن اليهود كانوا منذ أقدم العصور يستغلون ثراءهم الواسع لإثارة القلاقل وإشعال الحروب، ويحاولون الوصول دائمًا إلى أغراضهم عن طريق سيطرتهم المالية كما هو مشاهد منهم اليوم حيث يعبثون عن طريق الذهب بكثير من ساسة العالم فيسخرونهم في سبيل أطماعهم السياسية.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: حَارَبَتْ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ [بَعْدَ ذَلِكَ]، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الـمَدِينَةِ [وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ]. [البخاري في المغازي (٤٠٢٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٦)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٥)، ومسند أحمد رقم (٦٣٦٧)].

مظاهرة اليهود عند الجلاء:

وقد أظهر يهود بني النضير التجلد عند جلائهم، فخرجوا من المدينة في شبه مظاهرة، غادروها في طوابير، قد أركبوا النساء على الهودج في أبهى زينة، عليهن الديباج والحرير وقطف الخز الأخضر والأحمر وحلي الذهب والفضة، تصحبهم فرق الموسيقى من القيان يضربن بالدفوف ويعزفن بالمزامير.

[غزوة الأحزاب لباشميل ٥٩-٦٠].

قال الواقدي: «وَحَمَلُوا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ، فَخَرَجُوا عَلَى بَلحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ عَلَى الجَبَلِيَّةِ، ثُمَّ عَلَى الجِسْرِ حَتَّى مَرُّوا بِالْمُصَلَّى، ثُمَّ شَقُّوا سُوقَ الْمَدِينَةِ، وَالنِّسَاءُ فِي الهَوَادِجِ (من مراكب النساء) عَلَيْهِنَّ الحَرِيرُ وَالدِّيبَاجُ وَقُطُفُ (**قُطُف وقطائف** جمع قطيفة: دثار له خمل) الخَزِّ الخُضْرُ وَالحُمْرُ، وَقَدْ صَفَّ لَهُمْ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَمُرُّونَ قِطَارًا فِي أَثَرِ قِطَارٍ، فَحُمِلُوا عَلَى سِتِّمَائَةِ بَعِيرٍ، يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَؤُلَاءِ فِي قَوْمِهِمْ بِمَنْزِلَةِ بَنِي الْمُغِيرَةِ فِي قُرَيْشٍ**».

وَمَرُّوا يَضْرِبُونَ بِالدُّفُوفِ وَيُزَمِّرُونَ بِالمَزَامِيرِ، وَعَلَى النِّسَاءِ الْمُعَصْفَرَاتُ وَحُلِيُّ الذَّهَبِ؛ مُظْهِرِينَ ذَلِكَ تَجَلُّدًا.

قَالَ: يَقُولُ جُبَارُ بْنُ صَخْرٍ: مَا رَأَيْتُ زُهَاءَهُمْ لِقَوْمٍ زَالُوا مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ.

وَنَادَى أَبُو رَافِعٍ سَلَامُ بْنُ أَبِي الحُقَيْقِ، وَرَفَعَ مَسْكَ (الجلد، والجمع مسوك) الجَمَلِ وَقَالَ: **هَذَا مِمَّا نَعُدُّهُ لِخَفْضِ الأَرْضِ وَرَفْعِهَا، فَإِنْ يَكُنْ النَّخْلُ قَدْ تَرَكْنَاهَا فَإِنَّا نَقْدَمُ عَلَى نَخْلٍ بِخَيْبَرَ**.

فَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ رَبِيحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَقَدْ مَرَّ يَوْمَئِذٍ نِسَاءٌ مِنْ نِسَائِهِمْ فِي تِلْكَ الهَوَادِجِ قَدْ سَفَرْنَ عَنْ الوُجُوهِ لَعَلِّي لَمْ أَرَ مِثْلَ جَمَالِهِنَّ لِنِسَاءٍ قَطُّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الشَّقْرَاءَ بِنْتَ كِنَانَةَ يَوْمَئِذٍ كَأَنَّهَا لُؤْلُؤَةُ غَوَّاصٍ، وَالرَّوَاعَ بِنْتَ عُمَيْرٍ مِثْلَ الشَّمْسِ البَازِغَةِ فِي أَيْدِيهِنَّ أَسْوِرَةُ الذَّهَبِ وَالدُّرُّ فِي رِقَابِهِنَّ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٥-٣٧٦].

لا إكراه في الدين ونموذج لحرية العقيدة:

وقد جلا مع يهود بني النضير بعض أولاد الأنصار الذين اعتنقوا اليهودية، فقد كانت المرأة من الأنصار قبل الإسلام إذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها عهدًا إن عاش لها ولد تهوده، ولما أخذ يهود بني

النضير في الجلاء وأخذ أبناء الأنصار يجلون معهم بحكم اتباعهم لدينهم ـ حاول الأنصار منع أولادهم من الجلاء قائلين: لا ندع أبناءنا يخرجون مع اليهود، ولكن النبي ﷺ ـ عملًا بحرية العقيدة ـ لم يمكن الأنصار مما أرادوا، ما دام أن أبناءهم قد دخلوا في اليهودية قبل الإسلام، وجلوا مع بني النضير بمحض اختيارهم، وقد اتخذ النبي ﷺ هذا القرار ونفذه بعد أن أنزل الله عليه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] كما يقول ابن برهان الدين في السيرة الحلبية. [غزوة الأحزاب لباشميل ٥٠].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاتًا فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾، قَالَ أَبُو دَاوُد: الْمِقْلَاتُ الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ.

[أبو داود في الجهاد (٢٦٨٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وجهة اليهود بعد الجلاء:

وقد اتجه اليهود عند الجلاء بعضهم إلى أذرعات الشام وبعضهم إلى خيبر وهم الأكثرية، وكان من الذين نزلوا خيبر من أكابرهم حُيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، وقد دانت خيبر لهؤلاء الزعماء الذين اتخذوا منها فيما بعد قاعدة للتآمر على المسلمين كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

[غزوة الأحزاب لباشميل ٦٠-٦١].

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ [(١)]، وَكَانَ مَنْزِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمُ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأَمْوَالِ إِلَّا الْحَلْقَةَ، يَعْنِي السِّلَاحَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ﴾ [الحشر: ٢] فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ، فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا، وَكَانَ اللهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ [الحشر:٢] فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ.

[المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٢٥ رقم ٣٧٩٧، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ العلي: والحديث صحيح إلا أنه ليس على شرط الشيخين؛ لأنهما لم يخرجا لزيد بن المبارك ومحمد بن ثور وكلاهما ثقة. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٤٤].

---

(١) قال الشيخ العلي: «والناظر في حديث عائشة رضي الله عنها يرى أنه مؤيد للرأي القائل أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر كما قال الزهري رحمه الله، وهو في سند حديث عائشة رضي الله عنها، فالجواب عنه ما قال ابن القيم رحمه الله في ذلك من الخطأ في النقل عن الزهري، أو هو وهم من الزهري رحمه الله والله أعلم». صحيح السيرة النبوية ص ٢٤٤.

مَنْ أسلم من يهود بني النضير:

وقد أسلم من يهود بني النضير رجلان هما يامين بن عمير [١] (ابن عم عمرو بن جحاش الذي أوكلت إليه مهمة القيام باغتيال النبي ﷺ)، وأبو سعد بن وهب [٢].

«فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ـ أي إصرار حيي بن أخطب على رفض الصلح ـ يَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأَبُو سَعْدِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَرَسُولُ الله! فَمَا تَنْتَظِرُ أَنْ نُسْلِمَ، فَنَأْمَنَ عَلَى دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا؟ فَنَزَلا مِنَ اللَّيْلِ فَأَسْلَمَا، فَأَحْرَزَا دِمَاءَهُمَا وَأَمْوَالَهُمَا.

فَلَمَّا أَجْلاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ لابْنِ يَامِينَ: «**أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَمْرِو بْنِ جَحَّاشٍ، وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ قَتْلِي؟**»، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهِ، كَانَتْ الرَّوَاعُ بِنْتُ عُمَيْرٍ تَحْتَ عَمْرِو بْنِ جَحَّاشٍ، فَقَالَ ابْنُ يَامِينَ: أَنَا أَكْفِيكَهُ يَا رَسُولَ الله، فَجَعَلَ لِرَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ عَلَى أَنْ يَقْتُلَ عَمْرَو بْنَ جَحَّاشٍ، وَيُقَالُ: خَمْسَةَ أَوْسُقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَاغْتَالَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُ يَامِينَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٧٣، ٣٧٤].

غنائم بني النضير:

وبالرغم من الحرية المطلقة إلى أعطاها النبي ﷺ لبني النضير ليحملوا كل ما يقدرون على حمله من أموالهم، فإنهم قد تركوا للمسلمين مغانم كثيرة، ومنها خمسون درعًا وثلاثمائة وأربعون سيفًا، وغلال عظيمة مع مساحات شاسعة مزروعة بالنخيل وغيرها من الزروع.

عَنِ المِسْوَرِ بْنِ رِفَاعَةَ قَالَ: وَقَبَضَ رَسُولُ الله ﷺ الأَمْوَالَ، وَقَبَضَ الحَلْقَةَ فَوَجَدَ مِنَ الحَلْقَةِ خَمْسِينَ دِرْعًا، وَخَمْسِينَ بَيْضَةً (خوذة)، وَثَلاثَمِائَةِ سَيْفٍ وَأَرْبَعِينَ سَيْفًا، وَيُقَالُ: غَيَّبُوا بَعْضَ سِلاحِهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ﷺ الَّذِي وَلِيَ قَبْضَ الأَمْوَالِ وَالحَلْقَةَ وَكَشْفَهُمْ عَنْهَا.

فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: يَا رَسُولَ الله أَلَا تُخَمِّسُ مَا أَصَبْتَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ كَمَا خَمَّسْتَ مَا أَصَبْتَ مِنْ بَدْرٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا أَجْعَلُ شَيْئًا جَعَلَهُ اللهُ ﷻ لِي دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآيَةُ** [الحشر: ٧] **كَهَيْئَةِ مَا وَقَعَ فِيهِ السُّهْمَانِ لِلْمُسْلِمِينَ**». **[المغازي للواقدي ١/ ٣٧٧].**

---

(١) قال في الإصابة: هو يامين بن عمير بن كعب النضري، ذكره ابن عبد البر فقال: كان من كبار الصحابة ولم أطلع على تاريخ وفاته.

(٢) أبو سعد بن وهب النضري، أخرج له ابن سعد حديثًا عن رسول الله ﷺ من رواية ابنه أسامة بن أبي سعد عن أبيه قال: ... شهدت رسول الله ﷺ يقضي في سيل (مهروز) أن يحبس الأعلى من الأسفل حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل.

مصير غنائم بني النضير:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ خَاصَّةً [خَالِصَةً]، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ [قُوتَ سَنَتِهِ]، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ الله ﷻ.

[البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٤)، وفي تفسير القرآن (٤٨٨٥)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٧)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٦٥)، والترمذي في الجهاد (١٧١٩)، والنسائي في قسم الفيء (٤١٤٠)، وأحمد عن عمر ﷺ (١٧١، ٣٣٧)، ومرويات الإمام الزهري في المغازي للعواجي ١/ ٣٢٢].

وعَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: قَالَ لِي مَعْمَرٌ: قَالَ لِي الثَّوْرِيُّ: هَلْ سَمِعْتَ فِي الرَّجُلِ يَجْمَعُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ أَوْ بَعْضِ السَّنَةِ؟ قَالَ مَعْمَرٌ: فَلَمْ يَحْضُرْنِي، ثُمَّ ذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ.

[البخاري في النفقات (٥٣٥٧)].

وعَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الحَدَثَانِ قَالَ: كَانَ فِيمَا احْتَجَّ بِهِ عُمَرُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ ثَلَاثُ صَفَايَا: بَنُو النَّضِيرِ، وَخَيْبَرُ، وَفَدَكُ، فَأَمَّا بَنُو النَّضِيرِ فَكَانَتْ حُبُسًا لِنَوَائِبِهِ، وَأَمَّا فَدَكُ فَكَانَتْ حُبُسًا لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ، وَأَمَّا خَيْبَرُ فَجَزَّأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْأَيْنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَجُزْءًا نَفَقَةً لِأَهْلِهِ، فَمَا فَضُلَ عَنْ نَفَقَةِ أَهْلِهِ جَعَلَهُ بَيْنَ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ.

[أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٦٧)، وقال الشيخ الألباني: حسن الإسناد].

وعَنْ الزُّهْرِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[الحشر: ٦]، قَالَ: صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ فَدَكَ ـ وَقُرًى قَدْ سَمَّاهَا لَا أَحْفَظُهَا ـ وَهُوَ مُحَاصِرٌ قَوْمًا آخَرِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ بِالصُّلحِ، قَالَ: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكَانَتْ بَنُو النَّضِيرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَالِصًا، لَمْ يَفْتَحُوهَا عَنْوَةً، افْتَتَحُوهَا عَلَى صُلْحٍ فَقَسَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَتْ بِهِمَا حَاجَةٌ. **[أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٧١)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد].**

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ: كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، وَقَالَ أَبُو ضَمْرَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْطَعَ الزُّبَيْرَ ﷺ أَرْضًا مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ. **[البخاري في فرض الخمس (٣١٥١)].**

الأخوة الإيمانية بين المهاجرين والأنصار:

ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم يقسم غنائم يهود بني النضير كما تقسم غنائم الحرب على المقاتلين المسلمين كما هو المتبع، وإنما قسم هذه الغنائم على المهاجرين دون الأنصار، وذلك بعد استشارة الأنصار وأخذ موافقتهم على ذلك.

قال الواقدي: «وَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لـمَّا تَحَوَّلَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَى المَدِينَةِ تَحَوَّلَ أَصْحَابُهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، **فَتَنَافَسَتْ فِيهِمُ الأَنْصَارُ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَيْهِمْ، حَتَّى اقْتَرَعُوا فِيهِمْ بِالسُّهْمَانِ، فَمَا نَزَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِقُرْعَةِ سَهْمٍ.**

فَحَدَّثَنِي مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أُمِّ العَلاءِ قَالَتْ: صَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي القُرْعَةِ، وَكَانَ فِي مَنْزِلِنَا حَتَّى تُوُفِّيَ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ فِي دُورِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَمَّا غَنِمَ رَسُولُ الله ﷺ بَنِي النَّضِيرِ دَعَا ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فَقَالَ: «**اُدْعُ لِي قَوْمَكَ**»، قَالَ ثَابِتٌ: الخَزْرَجَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الأَنْصَارَ كُلَّهَا**»، فَدَعَا لَهُ الأَوْسَ وَالخَزْرَجَ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الأَنْصَارَ وَمَا صَنَعُوا بِالْمُهَاجِرِينَ، وَإِنْزَالَهُمْ إِيَّاهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَثَرَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمّ قَالَ: «**إِنْ أَحْبَبْتُمْ قَسَمْتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الـمُهَاجِرِينَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ السُّكْنَى فِي مَسَاكِنِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَعْطَيْتُهُمْ وَخَرَجُوا مِنْ دُورِكُمْ**»، فَتَكَلَّمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنهما، فَقَالا: **يَا رَسُولَ الله! بَلْ تَقْسِمُهُ لِلمُهَاجِرِينَ، وَيَكُونُونَ فِي دُورِنَا كَمَا كَانُوا**، وَنَادَتْ الأَنْصَارُ: **رَضِينَا وَسَلَّمْنَا يَا رَسُولَ الله!** قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ**»، فَقَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَى الْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ ذَلِكَ الفَيْءِ شَيْئًا، إلا رَجُلَيْنِ كَانَا مُحْتَاجَيْنِ: سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، وَأَبَا دُجَانَةَ، وَأَعْطَى سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيْفَ ابْنِ أَبِي الحُقَيْقِ، وَكَانَ سَيْفًا لَهُ ذِكْرٌ عِنْدَهُمْ.

قَالُوا: وَكَانَ مِمَّنْ أُعْطِيَ مِمَّنْ سُمِّيَ لَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه بِئْرَ حِجْرٍ، وَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه بِئْرَ جَرْمٍ، وَأَعْطَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ سُؤَالَةَ ـ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: مَالُ سُلَيْمٍ.

وَأَعْطَى صُهَيْبَ بْنَ سِنَانَ الضَّرَّاطَةَ، وَأَعْطَى الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الأَسَدِ البُوَيْلَةَ، وَكَانَ مَالُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَأَبِي دُجَانَةَ مَعْرُوفًا، يُقَالُ لَهُ: مَالُ ابْنِ خَرَشَةَ، وَوَسَّعَ رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّاسِ مِنْهَا».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٧٨-٣٨٠].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَخَلَّوْا الْأَمْوَالَ لرَسُولِ الله ﷺ، فَكَانَت لِرَسُولِ الله ﷺ خَاصَّةً، يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، فَقَسَّمَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ، إلَّا أَنَّ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ وَأَبَا دُجَانَةَ سِمَاكَ بْن خَرَشَةَ رضي الله عنهما ذَكَرَا فَقْرًا، فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ الله ﷺ». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٢].

وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الْبَلاذُرِيُّ فِي كِتَابِ (فُتُوحِ الْبُلْدَانِ) لَهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِلأَنْصَارِ: «**لَيْسَتْ لِإِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالٌ، فَإِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُ هَذِهِ وَأَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ جَمِيعًا،**

وَإِنْ شِئْتُمْ أَمْسَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَقَسَمْتُ هَذِهِ فِيهِمْ خَاصَّةً»، فَقَالُوا: بَلْ أَقْسِمْ هَذِهِ فِيهِمْ، وَأَقْسِمْ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: **جَزَاكُمُ اللهُ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ خَيْرًا، فَوَاللهِ مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُكُمْ إِلا كَمَا قَالَ الْغَنَوِيُّ:**

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَفَتْ ... بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ (١)

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا ... تُلاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

قال الصالحي: «قلت: وروى الآجري في كتاب الشريعة عن قيس بن أبي حازم: قال أبو بكر الصديق ﷺ، فذكر نحو ما تقدم». [عيون الأثر ٢/ ٧٤، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٦٣].

تألم المنافقين لجلاء اليهود:

وقد تأثر المنافقون لجلاء بني النضير تأثرًا كبيرًا، فنزل بهم من الغم والهم أمر عظيم؛ لأن هؤلاء اليهود كانوا لهم سندًا وعضدًا في مقاومتهم للنبي ﷺ؛ لذلك حزن هؤلاء المنافقون وخاصة عبد الله بن أبي لجلاء اليهود حزنًا شديدًا.

قال أبو سعيد الخدري ﷺ: «وَلَقِيَ الْمُنَافِقُونَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ خَرَجُوا حُزْنًا شَدِيدًا، لَقَدْ لَقِيتُ زَيْدَ ابْنَ رِفَاعَةَ بْنِ التَّابُوتِ، وَهُوَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ يُنَاجِيهِ فِي بَنِي غَنْمٍ، وَهُوَ يَقُولُ: **تَوَحَّشْتُ بِيَثْرِبَ لِفَقْدِ بَنِي النَّضِيرِ، وَلَكِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ إِلَى عِزٍّ وَثَرْوَةٍ مِنْ حُلَفَائِهِمْ، وَإِلَى حُصُونٍ مَنِيعَةٍ شَامِخَةٍ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ لَيْسَتْ كَمَا هَاهُنَا.**

قَالَ: فَاسْتَمَعْتُ عَلَيْهِمَا سَاعَةً، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَاشٌّ للهِ وَلِرَسُولِهِ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٧٦].

دعوة عَمْرِو بْنِ سُعْدَى اليهودي إلى الإسلام بعد إجلاء بني النضير واعترافه واعتراف من اعترف من اليهود بوجود صفة النبي ﷺ في التوراة:

روى البيهقي بسنده عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْمَدِينَةِ أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ سُعْدَى فَأَطَافَ بِمَنَازِلِهِمْ، فَرَأَى خَرَابَهَا، وَفَكَّرَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَوَجَدَهُمْ فِي الْكَنِيسَةِ (معبد اليهود. شرح الشفا ٢/ ٥١٨)، فَنَفَخَ فِي بُوقِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ الزَّبَيْرُ بْنُ بَاطَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَيْنَ كُنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ لَمْ نَرَكَ؟ وَكَانَ لَا يُفَارِقُ الْكَنِيسَةَ، وَكَانَ يَتَأَلَّهُ (يتعبد) فِي الْيَهُودِيَّةِ، قَالَ: **رَأَيْتُ الْيَوْمَ عِبَرًا قَدْ**

---

(١) **أزلقت**: قال في النور ـ بالزاي والقاف ـ يقال: أزلقت الحامل: إذا رمت ولدها، والذي في نسخة من العيون مقروءة على مصنفها وغيره ـ بالفاء ـ أي: دنت وقربت. سبل الهدى والرشاد ٤/ ٤٧٥.

عُبِّرْنَا بِهَا (العبرة: العظة والتذكر والاتعاظ، وعُبِّرنا بها يعني: اشتد علينا أمرها)، **رَأَيْتُ مَنَازِلَ إِخْوَانِنَا خَالِيَةً بَعْدَ ذَلِكَ العِزِّ وَالجَلَدِ** (القوة) **وَالشَّرَفِ الفَاضِلِ، وَالعَقْلِ البَارِعِ، قَدْ تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ، وَمَلَكَهَا غَيْرُهُمْ، وَخَرَجُوا خُرُوجَ ذُلٍّ، وَلَا وَالتَّوْرَاةِ مَا سُلِّطَ هَذَا عَلَى قَوْمٍ قَطُّ لله بِهِمْ حَاجَةٌ، وَقَدْ أَوْقَعَ قَبْلَ ذَلِكَ بِابْنِ الأَشْرَفِ ذِي عِزِّهِمْ، ثُمَّ بَيَّتَهُ فِي بَيْتِهِ آمِنًا، وَأَوْقَعَ بِابْنِ سُنَيْنَةَ سَيِّدِهِمْ، وَأَوْقَعَ بِبَنِي قَيْنُقَاعٍ فَأَجْلَاهُمْ** (أخرجهم وأبعدهم) **وَهُمْ أَهْلُ جَدٍّ يَهُودَ** (الجد: المكانة العظيمة والغنى)، **كَانُوا أَهْلَ عِدَّةٍ وَسِلَاحٍ وَنَجْدَةٍ** (شجاعة)، **فَحَصَرَهُمْ فَلَمْ يُخْرِجْ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ رَأْسَهُ حَتَّى سَبَاهُمْ، فَكُلِّمَ فِيهِمْ فَتَرَكَهُمْ عَلَى أَنْ أَجْلَاهُمْ مِنْ يَثْرِبَ، يَا قَوْمُ! قَدْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ فَأَطِيعُونِي، وَتَعَالَوْا نَتَّبِعْ مُحَمَّدًا، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ بَشَّرَنَا بِهِ وَبِأَمْرِهِمْ: ابْنُ الهَيْبَانِ أَبُو عُمَيْرٍ، وَابْنُ حِرَاشٍ [جَوَّاسٍ]، وَهُمَا أَعْلَمُ يَهُودَ، جَاءَا مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ يَتَوَكَّفَانِ قُدُومَهُ وَأَمَرَانَا بِاتِّبَاعِهِ، وَأَمَرَانَا أَنْ نُقْرِئَهُ مِنْهُمَا السَّلَامَ، ثُمَّ مَاتَا عَلَى دِينِهِمَا وَدَفَنَّاهُمَا بِحَرَّتِنَا هَذِهِ.**

فَأُسْكِتَ القَوْمُ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنْهُمْ مُتَكَلِّمٌ، فَأَعَادَ هَذَا الكَلَامَ [أَوْ نَحْوَهُ]، وَخَوَّفَهُمْ بِالحَرْبِ وَالسِّبَاءِ وَالجَلَاءِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَاطَا: **قَدْ وَالتَّوْرَاةِ قَرَأْتُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِ بَاطَا التَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى، لَيْسَ فِي المَثَانِي الَّذِي أَحْدَثْنَا.**

قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ: مَا يَمْنَعُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنِ اتِّبَاعِهِ؟ قَالَ: أَنْتَ، قَالَ كَعْبٌ: وَلِمَ؟ وَالتَّوْرَاةِ مَا حُلْتُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَطُّ، قَالَ الزُّبَيْرُ: **أَنْتَ صَاحِبُ عَهْدِنَا وَعَقْدِنَا، فَإِنِ اتَّبَعْتَهُ اتَّبَعْنَاهُ، وَإِنْ أَبَيْتَ أَبَيْنَا.**

[فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ سُعْدَى عَلَى كَعْبٍ فَقَالَ: **أَمَا وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى يَوْمَ طُورِ سِينَا إِنَّه لَلعِزُّ وَالشَّرَفُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ لَعَلَى مِنْهَاجِ مُوسَى، ويُنْزَلُ مَعَهُ وَأُمَّتُهُ غَدًا فِي الجَنَّةِ.**

قَالَ كَعْبٌ: **نُقِيمُ عَلَى عَهْدِنَا وَعَقْدِنَا فَلا يَخْفَرُ** (ينقض عهدهم) **لَنَا مُحَمَّدٌ ذِمَّةً، وَنَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ حُيَيٌّ، فَقَدْ أُخْرِجَ إِخْرَاجَ ذُلٍّ وَصَغَارٍ، فَلا أَرَاهُ يَقِرُّ حَتَّى يَغْزُو مُحَمَّدًا، فَإِنْ ظَفِرَ بِمُحَمَّدٍ فَهُوَ مَا أَرَدْنَا، وَأَقَمْنَا عَلَى دِينِنَا، وَإِنْ ظَفِرَ بِحُيَيٍّ فَمَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ، وَتَحَوَّلْنَا مِنْ جِوَارِهِ.**

قَالَ عَمْرُو بْنُ سُعْدَى: **وَلِمَ نُؤَخِّرُ الأَمْرَ وَهُوَ مُقْبِلٌ؟** قَالَ كَعْبٌ: **مَا عَلَى هَذَا فَوْقٌ، مَتَى أَرَدْتُ هَذَا مِنْ مُحَمَّدٍ أَجَابَنِي إِلَيْهِ.**

قَالَ عَمْرُو: **وَالتَّوْرَاةِ! إِنَّ عَلَيْهِ لَغَوْثًا، إِذَا سَارَ إِلَيْنَا مُحَمَّدٌ فَتَخَبَّأْنَا فِي حُصُونِنَا هَذِهِ الَّتِي قَدْ خَدَعَتْنَا، فَلَا نُفَارِقُ حُصُونَنَا حَتَّى نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِهِ، فَيَضْرِبُ أَعْنَاقَنَا].**

فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ سُعْدَى عَلَى كَعْبٍ فَذَكَرَ مَا تَقَاوَلَا فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَالَ كَعْبٌ: مَا عِنْدِي فِي أَمْرِهِ إِلَّا مَا قُلتَ، مَا تَطِيبُ نَفْسِي أَنْ أَصِيرَ تَابِعًا [لِقَوْلِ هَذَا الإِسْرَائِيلِيِّ، وَلا يَعْرِفُ لِي فَضْلَ النُّبُوَّةِ وَلا قَدْرَ الفِعَالِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ سُعْدَى: بَلْ لَعَمْرِي لَيَعْرِفَنَّ ذَلِكَ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَرُعْهُمْ (يفزعهم) إلا بِمُقَدِّمَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ حَلَّتْ بِسَاحَتِهِمْ، فَقَالَ: هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكَ.

وَذَلِكَ أَنَّهُم نَقَضُوا عَهْدَ رَسُولِ الله ﷺ، وَحَارَبُوهُ فِي وَقْعَةِ الخَنْدَقِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ]».

[دلائل النبوة للبيهقي٣/ ٣٦١-٣٦٢، سبل الهدى والرشاد للصالحي٤/ ٤٦٣-٤٦٥ وما بين المعكوفتين منه].

القرآن وجلاء بني النضير:

تحدث القرآن الكريم عن غزوة بني النضير في سورة كاملة وهي سورة الحشر، وقد سمى حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر بسورة بني النضير، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: **سُورَةُ الحَشْرِ**، قَالَ: **قُلْ سُورَةُ النَّضِيرِ**. [البخاري في المغازي (٤٠٢٩)، وفي التفسير (٤٨٨٣)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: **سُورَةُ التَّوْبَةِ**؟ قَالَ: **التَّوْبَةُ هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا**، قَالَ: قُلْتُ: **سُورَةُ الأَنْفَالِ**؟ قَالَ: **نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ**، قَالَ: قُلْتُ: **سُورَةُ الحَشْرِ**؟ قَالَ: **نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ**.

[البخاري في تفسير القرآن (٤٨٨٢)، ومسلم في التفسير (٣٠٣١)].

قال ابن إسحاق: «وَنَزَلَ فِي بَنِي النَّضِيرِ سُورَةُ الحَشْرِ بِأَسْرِهَا، يَذْكُرُ فِيهَا مَا أَصَابَهُمْ اللهُ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَمَا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، وَمَا عَمِلَ بِهِ فِيهِمْ». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٢].

وقد بينت هذه السورة ملابسات هذه الغزوة، وفصلت القول فيها، وبينت أحكام الفيء، ومن هم المستحقون له؟ وأوضحت موقف المنافقين من اليهود، كما كشفت عن حقائق نفسيات اليهود، وضربت الأمثال لعلاقة المنافقين باليهود، وفي أثناء الحديث عن الغزوة وجه سبحانه خطابه إلى المؤمنين وأمرهم بتقواه وحذرهم من معصيته، ثم تحدث سبحانه عن القرآن الكريم، وأسمائه وصفاته.

وهكذا كان المجتمع المسلم يتربى بالأحداث على التوحيد وتعظيم منهج الله، والاستعداد ليوم القيامة. [السيرة النبوية للصلابي ٢/ ٢٠٨].

سُورَةُ الحَشْرِ (سُورَةُ بَنِي النَّضِيرِ):

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر].

مَا قِيلَ فِي بَنِي النَّضِير مِنْ الشِّعْرِ:

شِعْرُ ابْنِ لُقَيْمٍ العَبْسِيِّ:

وَكَانَ مِمَّا قِيلَ فِي بَنِي النَّضِيرِ مِنْ الشِّعْرِ قَوْلُ ابْنِ لُقَيْمٍ العَبْسِيِّ، وَيُقَالُ: قَالَهُ قَيْسُ بْنُ بَحْرِ بْنِ طَرِيفٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَيْسُ بْنُ بَحْرٍ الأَشْجَعِيُّ ـ فَقَالَ [1]:

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/ ١٩٥ - ١٩٦، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٥٤٣-٥٤٥.

أَهْلِي فِدَاءٌ لِامْرِئٍ غَيْرِ هَالِكٍ ... أَحَلَّ اليَهُودَ بِالحَسِيِّ المُزَنَّمِ (١)
يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الغَضَاةِ وَبُدِّلُوا ... أُهَيْضِبُ عُودي بِالوَدِيِّ المكَمَّمِ (٢)
فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ ... تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَيَرَمْرَمِ (٣)
يَؤُمُّ بِهَا عَمْرَو بْنَ بُهْثَةَ إِنَّهُمْ ... عَدُوٌّ وَمَا حَيٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الوَغَى ... يَهُزُّونَ أَطْرَافَ الوَشِيجِ المقَوَّمِ (٤)
وَكُلُّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٌ ... تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَجُرْهُمِ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً ... فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِي المجْدِ مِنْ مُتَكَرَّمِ
بِأَنَّ أَخَاكُمْ فَاعْلَمُنَّ مُحَمَّدًا ... تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الحَجُونِ وَزَمْزَمِ (٥)
فَدِينُوا لَهُ بِالحَقِّ تَجْسُمُ أُمُورُكُمْ ... وَتَسْمُوا مِنْ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُعْظَمِ (٦)
نَبِيٌّ تَلَاقَتْهُ مِنْ اللهِ رَحْمَةٌ ... وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ (٧)
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرٍ لَعَمْرِي عِبْرَةٌ ... إِلَيْكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالقَلِيبِ المَلَمَّمِ (٨)

---

(١) قال أبو ذر: «**الحسي والحساء**: مياه تغور في الرمل تمسكها صلاة الأرض، فإذا حفر عنها وُجدت، **والمزنم** (على هذا القول): المقلل اليسير، ومن رواه: بالحشي، أراد به حاشية الإبل، وهي صغارها وضعافها، وهو الصواب. والمزنم (على هذا القول): أولاد الإبل الصغار، وقد يكون المزنم (هنا): المعز، سميت بذلك للزنمتين اللتين في أعناقها، وهما الهنتان اللتان تتعلقان من أعناقها». وقال السهيلي: يريد: أحلهم بأرض غربة وفي غير عشائرهم، والزنيم والمزنم: الرجل يكون في القوم وليس منهم، أي أنزلهم بمنزلة الحسي، أي: المبعد الطريد، وإنما جعل الطريد الذليل حسيًا؛ لأنه عرضة الأكل، والحسي والحسو: ما يحسى من الطعام حسوًا، أي أنه لا يمتنع على آكل، ويجوز أن يريد بالحسي معنى الغذي من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرعي، يقال: بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم رذال المال وغذاء الغنم والمزنم منه، فهذا وجه يحتمل، وقد أكثرت التنقير عن الحسي في مظانه من اللغة فلم أجد نصًّا شافيًا أكثر من قول أبي علي: الحسية والحسي ما يحسى من الطعام، وإذ قد وجدنا الغذي واحدة غذاء الغنم، فالحسي في معناه غير ممتنع أن يقال والله أعلم. والمزنم أيضًا: صغار الإبل. وقد يكون الحسى أيضًا: الغصن من النبات. ويكون المزنم ماله وهو الورق.

(٢) **الغضاة**: واحدة الغضى، وهو شجر، وفي رواية: «العضاة» وهو شجر أيضًا، الواحدة: عضة. **الأهيضب**: المكان المرتفع. **غودي**: اسم موضع. ومن رواه: عودا، فهو من عاد يعود. **الودي**: صغار النخل. **المكمم**: الذي خرج طلعه.

(٣) **الصلا ويرمرم**: موضعان.

(٤) **مساعير**: يسعرون الحرب ويهيجونها. **الوشيج**: الرماح.

(٥) **تليد**. قديم. **الندى**: الكرم. **الحجون**: موضع بمكة.

(٦) **فدينوا**، أي أطيعوا. **تجسم**: تعظم. **تسمو**: ترتفع.

(٧) **المرجم**: المظنون الذي لا يتيقن.

(٨) **الملمم**: المجوع.

غَدَاةَ أَتَى فِي الخَزْرَجِيَّةِ عَامِدًا ... إِلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلعَظِيمِ المكَرَّمِ
مُعَانًا بِرُوحِ القُدْسِ يُنْكَى عَدُوُّهُ ... رَسُولًا مِنْ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ (١)
رَسُولًا مِنْ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... فَلَمَّا أَنَارَ الحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمْ (٢)
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... عُلُوًّا لِأَمْرِ حَمَّهُ اللهُ مُحْكَمِ (٣)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَمْرُو بْنُ بُهْثَةَ، مِنْ غَطَفَانَ.

وَقَوْلُهُ: «بِالحَسِيِّ المزَنَّمِ»، عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

شِعْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: يَذْكُرُ إِجْلَاءَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَتْلَ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَهَا رَجُلٌ مِنْ المسْلِمِينَ غَيْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فِيمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْهُمْ يَعْرِفُهَا لِعَلِيٍّ ﷺ (٤):

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفْ ... وَأَيْقَنْتُ حَقًّا وَلَمْ أَصْدِفْ (٥)
عَنْ الكَلِمِ المحْكَمِ اللَّاءِ مِنْ ... لَدَى اللهِ ذِي الرَّأْفَةِ الأَرْأَفِ
رَسَائِلُ تُدْرَسُ فِي المؤْمِنِينَ ... بِهِنَّ اصْطَفَى أَحْمَدَ المصْطَفَى
فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزًا ... عَزِيزَ المُقَامَةِ وَالمَوْقِفِ (٦)
فَيَأَيُّهَا الموعِدُوهُ سَفَاهًا ... وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَعْنُفْ (٧)
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى العَذَابِ ... وَمَا آمِنُ اللهِ كَالأَخْوَفِ
وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ ... كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أَبِي الأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللهُ طُغْيَانَهُ ... وَأَعْرَضَ كَالجَمَلِ الأَجْنَفِ (٨)
فَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ ... بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلطَفِ

---

(١) **روح القدس**: جبريل عليه السلام. **ينكي عدوه**: يبالغ في ضرره. **المعلم**: الموضع المرتفع المشرف.

(٢) **لم يتلعثم**: لم يتأخر ولم يتوقف.

(٣) **حمه**: قدره.

(٤) السيرة لابن هشام ٢/ ١٩٦-١٩٧، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٥٤٥-٥٤٦.

(٥) **لم أصدف**: لم أعرض.

(٦) **المقامة** (بضم الميم): موضع الإقامة.

(٧) **الموعدوه**: المهددوه. **السفاه**: الضلال. **لم يعنف**: لم يأت غير الرفق.

(٨) **الأجنف**: المائل إلى جهة.

فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولًا لَهُ ... بِأَبْيَضَ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ (١)
فَبَاتَتْ عُيُونٌ لَهُ مُعْوِلَاتٍ ... مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفِ (٢)
وَقُلْنَ لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلًا ... فَإِنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
فَخَلَّاهُمْ ثُمَّ قَالَ اظْعَنُوا ... دُحُورًا عَلَى رَغْمِ الآنُفِ (٣)
وَأَجْلَى النَّضِيرِ إِلَى غُرْبَةٍ ... وَكَانُوا بِدَارٍ ذَوِي زُخْرُفِ (٤)
إِلَى أَذْرِعَاتٍ رُدَافَى وَهُمْ ... عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفِ (٥)

شِعْرُ سَمَّاكِ اليَهُودِيِّ فِي الرد عَلَى عَلِيٍّ ﷺ: فَأَجَابَهُ سَمَّاكٌ اليَهُودِيُّ، فَقَالَ (٦):

إِنْ تَفْخَرُوا فَهُوَ فَخْرٌ لَكُمْ ... بِمَقْتَلِ كَعْبٍ أَبِي الأَشْرَفِ
غَدَاةَ غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ ... وَلَمْ يَأْتِ غَدِرًا وَلَمْ يُخْلِفِ
فَعَلَّ اللَّيَالِيَ وَصَرْفَ الدُّهُورَ ... يُدِيلُ مِنَ العَادِلِ المنْصِفِ (٧)
بِقَتْلِ النَّضِيرِ وَأَحْلَافِهَا ... وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ (٨)
فَإِنْ لَا أَمُتْ نَأْتِكُمْ بِالقَنَا ... وَكُلِّ حُسَامٍ مَعًا مُرْهَفِ (٩)

---

(١) **بأبيض**: يعني سيفًا. **الهبة**: الاعتزاز. **المرهف**: القاطع.

(٢) **معولات**: باكيات بصوت. **ينعي**: يذكر خبر قتله. **تذرف**: تسيل بالدموع.

(٣) **اظعنوا**: ارحلوا. **الدحور** (بالدال المهملة): الذل والهوان. **على رغم الآنف**: على المذلة، يقال: أرغم الله أنفه، إذا أذله والآنف: جمع أنف.

(٤) **الغربة** (بضم الغين): الاغتراب. (وبفتح الغين): البعد. **الزخرف**: الزينة وحسن التنعم.

(٥) **أذرعات**: موضع بالشام. **ردافى**: أي مرتدفين يردف بعضهم بعضًا، الواحد: ردفي (كسكرى وسكارى). ويروى: ردافًا، وهو بهذا المعنى. **ذو دبر أعجف**: يعني جملًا. **دبر**: جرح. **الأعجف**: الهذيل الضعيف.

(٦) السيرة لابن هشام ٢/ ١٩٨.

(٧) **يديل**: من الدولة، أي نصيب منه مثل ما أصاب منا. ويريد بالعادل المنصف: النبي ﷺ. قال أبو ذر: فإن قيل: كيف قال اليهود فيه: العادل المنصف، وهو لا يعتقد ذلك؟ فالجواب أن يقال: أن يكون ذلك مما لفظه لفظ المدح ومعناه الذم، مثل قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان] وكما قال الآخر:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانًا

فهذا إن كان ظاهره المدح. فمعناه الذم.

(٨) **الأحلاف**: جمع حلف. وهو الصاحب. ويروى: وإجلائها، يعني وإخراجها من بلادها. **لم تقطف** (بفتح الطاء): لم يؤخذ ثمرها، ويروى بكسر الطاء، أي لم تبلغ زمن القطاف.

(٩) **الحسام المرهف**: السيف القاطع.

بِكَـفٍّ كَمِـيٍّ بِـهِ يَحْتَمِـي مَتَـى يَلـقَ قِرْنًـا لَـهُ يُتْلِـفِ [١]
مَعَ القَوْمِ صَـخْرٌ وَأَشْـيَاعُهُ إِذَا غَـاوَرَ القَـوْمَ لَمْ يَضْـعُفِ [٢]
كَلَيْـثٍ بِـتَرْجٍ حَمَـى غِيلَـهُ أَخِي غَابَـةٍ هَـاصِرٍ أَجْـوَفِ [٣]

شِعْرُ كَعْبٍ ﷺ فِي إِجْلاءِ بَنِي النَّضِيرِ وَقَتْلِ ابْنِ الأَشْرَفِ: [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٩-٢٠٠، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٥٤١-٥٤٣، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٦٨-٤٦٩].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ يَذْكُرُ إِجْلَاءَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَتْلَ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ:

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ كَذَاكَ الـدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَـدُورُ [٤]
وَذَلِـكَ أَنَّهُـمْ كَفَـرُوا بِـرَبٍّ عَزِيـزٍ أَمْـرُهُ أَمْـرٌ كَبِـيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًـا فَهْـمًا وَعِلْـمًا وَجَـاءَهُمْ مِـنْ اللهِ النَّـذِيرُ
نَـذِيرٌ صَـادِقٌ أَدَّى كِتَابًـا وَآيَـاتٍ مُبَيَّنَـةً تُنِـيرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْـتَ بِمُنْكَـرٍ مِنَّـا جَـدِيرُ [٥]
فَقَالَ: بَلَى لَقَـدْ أَدَّيْـتُ حَقًّـا يُصَـدُّقُنِي بِـهِ الفَهِـمُ الخَبِـيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْـدَ لِكُـلِّ رُشْـدٍ وَمَـنْ يَكْفُـرْ بِـهِ يُجْـزَ الكَفُـورَ
فَلَـمَّا أُشْرِبُـوا غَـدِرًا وَكُفْـرًا وَحَادَ بِهِـمْ عَـنْ الحَـقِّ النُّفُـورِ [٦]
أَرَى اللهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صَـدْقٍ وَكَـانَ اللهُ يَحْكُـمُ لَا يَجُـورُ
فَأَيَّـدَهُ وَسَـلَّطَهُ عَلَـيْهِمْ وَكَـانَ نَصِـيرُهُ نِعْـمَ النَّصِـيرِ
فَغُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيعًـا فَـذَلَّتْ بَعْـدَ مَصْـرَعِهِ النَّضِـيرُ
عَلَى الكَفَّيْنِ ثَـمَّ وَقَـدْ عَلَتْـهُ بِأَيْـدِينَا مُشَـهَّرَةٌ ذُكُـورُ [٧]

---

(١) **الكمي**: الشجاع. **القرن**: الذي يقاومك في قتال.

(٢) **صخر**: هو أبو سفيان بن حرب.

(٣) **ترج**: جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود. **الغيل**: أجمة الأسد. **الهاصر**: الذي يكسر فريسته إذا أخذها. **والأجوف**: العظيم الجوف.

(٤) **خزيت**: ذلت. **الحبور**: جمع حبر، وهو العالم، ويقال في جمعه: أحبار أيضًا، ويريد «بالحبور»، علماء اليهود. **صرف**: تغير. **يدور**: يتحول وينتقل.

(٥) **جدير**: حقيق وخليق.

(٦) **حاد بهم**: أي مال بهم.

(٧) **مشهرة ذكور**: سيوف مسلولة من أغمادها، قوية قاطعة.

بِـأَمْرِ مُحَمَّـدٍ إِذْ دَسَّ لَـيْلًا إِلَى كَعْـبٍ أَخَـا كَعْـبٍ يَسِـيرُ
فَـمَا كَـرِهَ فَأَنْزَلَـهُ بِمَكْـرٍ وَمَحْمُـودٌ أَخُـو ثِقَـةٍ جَسُـورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدَارِ سَوْءٍ أَبَـارَهُمْ بِـمَا اجْتَرَمُـوا المبِـيرُ (١)
غَدَاةَ أَتَاهُمْ فِي الزَّحْفِ رَهْوًا رَسُـولُ اللهِ وَهْـوَ بِهِـمْ بَصِـيرُ (٢)
وَغَسَّـانَ الْحُـمَاةَ مُـوَازِرُوهُ عَـلَى الأَعْـدَاءِ وَهْـوَ لَهُـمْ وَزِيـرُ
فَقَالَ السَّلَمُ وَيْحَكُمْ فَصَدُّوا وَحَالَفَ أَمْـرَهُمْ كَـذِبٌ وَزُورُ (٣)
فَذَاقُوا غِـبَّ أَمْـرِهِمْ وَبَـالًا لِكُـلِّ ثَلَاثَـةٍ مِـنْهُمْ بَعِـيرُ (٤)
وَأَجْلَـوْا عَامِـدِينَ لِقَيْنُقَـاعٍ وَغُـودِرَ مِـنْهُمْ نَخْـلٌ وَدُورُ (٥)

شِعْرُ سَمَّاكٍ فِي الرَّدِّ عَلَى كَعْبٍ رضي الله عنه (٦): فَأَجَابَهُ سَمَّاكٌ اليَهُودِيُّ، فَقَالَ:

أَرِقْتُ وَضَافَنِي هَـمٌّ كَبِـيرُ بِلَيـلٍ غَـيْرُهُ لَيْـلٌ قَصِـيرُ (٧)
أَرَى الأَخْبَارَ تُنْكِـرُهُ جَمِيعًـا وَكُلُّهُـمْ لَـهُ عِلْـمٌ خَبِـيرُ
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ بِـهِ التَّـوْرَاةُ تَنْطِـقُ وَالزَّبُـورُ
قَتَلْتُمْ سَـيِّدَ الأَحْبَـارِ كَعْبًـا وَقِـدْمًا كَـانَ يَـأْمَنُ مَـنْ يُجِـيرُ
تَـدَلَّى نَحْـوَ مَحْمُـودٍ أَخِيـهِ وَمَحْمُـودٌ سَرِيرَتُـهُ الفُجُـورُ
فَغَـادَرَهُ كَـأَنَّ دَمًـا نَجِيعًـا يَسِـيلُ عَـلَى مَدَارِعِـهِ عَبِـيرُ (٨)
فَقَـدْ وَأَبِـيكُمْ وَأَبِي جَمِيعًـا أُصِـيبَتْ إِذْ أُصِـيبَ بِـهِ النَّضِـيرُ
فَإِنْ نَسْلَمُ لَكُمْ نَتْرُكْ رِجَالًا بِكَعْـبٍ حَـوْلَهُمْ طَـيْرٌ تَـدُورُ

---

(١) **أبارهم**: أهلكهم. **اجترموا**: كسبوا.
(٢) **الرهو**: مشي في سكون.
(٣) **السلم** (بفتح السين وكسرها): الصلح. **حالف**: صاحب.
(٤) **غب أمرهم**: أي أبعد أمرهم. **الوبال**: النكال والقتل.
(٥) **عامدين**: قاصدين. **قينقاع**: قبيلة من اليهود.
(٦) السيرة لابن هشام ٢/ ٢٠٠.
(٧) **أرقت**: امتنع النوم عني. **ضافني**: نزل بي.
(٨) **النجيع**: الدم الطري. **المدارع**: جمع مدرعة، وهي ثوب يلبس. وقال بعضهم: لا تكون المدرعة إلا من صوف. ويروى: (مذارعه). بالذال المعجمة من البعير والدابة: قوائمها، وأراد بها هنا: اليدين والرجلين. **والعبير**: الزعفران.

كَـأَنَّهُمْ عَتَـائِرُ يَـوْمَ عِيـدٍ تُـذَبَّحُ وَهْـيَ لَـيْسَ لَهَـا نَكِـيرُ [١]
بِبِيضٍ لَا تُلِيقُ لَـهُنَّ عَظْمًا صَـوَافِي الحَـدِّ أَكْثَرُهَـا ذُكُـورُ [٢]
كَمَا لَاقَيْتُمْ مِنْ بَأْسِ صَـخْرٍ بِأُحْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُـمْ نَصِـيرُ [٣]

شِعْرُ ابْنِ مِرْدَاسٍ فِي امْتِدَاحِ رِجَالِ بَنِي النَّضِيرِ [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٠١]:

وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ يَمْتَدِحُ رِجَالَ بَنِي النَّضِير:

لَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الـدَّارِ لَمْ يَتَصَـدَّعُوا رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلهًى وَمَلْعَبَـا [٤]
فَإِنَّكَ عَمْرِي هَـلْ أُرِيـكَ ظَعَائِنَـا سَلَكْنَ عَـلَى رُكْـنِ الشَّـطَاة فَتَيْأَبَـا [٥]
عَلَـيْهِنَّ عِـينٌ مِـنْ ظِبَـاءٍ تَبَّالَـةٍ أَوَانِـسُ يُصْـبِينَ الحَلِـيمَ المجَرِّبَـا [٦]
إِذَا جَاءَ بَاغِي الخَـيْرِ قُلْـنَ فُجَـاءَةً لَـهُ بِوُجُـوهٍ كَالـدَّنَانِيرِ مَرْحَبَـا
وَأَهْـلًا فَـلَا مَمْنُـوعَ خَـيْرٍ طَلَبْتَـهُ وَلَا أَنْـتَ تَخْشَـى عِنْـدَنَا أَنْ تُؤَنَّبَـا
فَلَا تَحْسَبَنِّي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ سَلَامٍ وَلَا مَوْلَى حُيَـيِّ بْـنِ أَخْطَبَـا [٧]

شِعْرُ خَوَّاتٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ مِرْدَاسٍ [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٠١-٢٠٢]:

فَأَجَابَهُ خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ:

تُبَكِّي عَـلَى قَـتْلَى يَهُـودَ وَقَـدْ تَـرَى مِنْ الشَّجْوِ لَـوْ تَبْكِـي أَحَـبَّ وَأَقْرَبَـا [٨]
فَهَـلَّا عَـلَى قَـتْلَى بِـبَطْنِ أُرَيْنِـقٍ بَكَيْتَ وَلَمْ تُعْوِلْ مِـنَ الشَّـجْوِ مُسْـهِبَا [٩]
إِذَا السِّلْمُ دَارَتْ فِي صَدِيقٍ رَدَدْتَهَـا وَفِي الدِّينِ صَدَّادًا وَفِي الحَرْبِ ثَعْلَبَـا [١٠]
عَمَـدْتَ إِلَى قَـدْرٍ لِقَوْمِـكَ تَبْتَغِـي لُهُـمْ شَـبَهًا كَـيْمَا تَعِـزَّ وَتَغْلِبَـا

---

(١) **العتائر**: جمع عتيرة، وهي الذبيحة.

(٢) **لا تليق**: لا تبقى.

(٣) **صخر**: هو أبو سفيان بن حرب.

(٤) **لم يتصدعوا**: لم يتفرقوا.

(٥) **الظعائن**: النساء في الهوادج. **الشطاة** (بالطاء المهملة): موضع. تيأب: موضع.

(٦) **العين**: جمع عيناء، وهي الكبيرة العين. **تبالة**: موضع باليمن. **ويصبين**: يذهبن العقل.

(٧) **المولى** (هنا): الحليف والصاحب.

(٨) **الشجو**: الحزن.

(٩) **أرينق** (بالراء والزاي): موضع. **لم تعول**: لم ترفع صوتك بالبكاء. **المسهب**: المتغير الوجه.

(١٠) **الصداد**: الذي يصد عن الدين والحق. **ثعلبا**: أي كثير الروغان، أي لا يصدق في الحرب.

فَإِنَّـكَ لَـمَّا أَنْ كَلِفْـتَ تَمَـدُّحًا ... لَـئِـنْ كَـانَ عَيْبًـا مَدْحُـهُ وَتَكَـذُّبَا
رَحَلْـتَ بِـأَمْرٍ كُنْـتَ أَهْـلًا لِمِثْلِـهِ ... وَلَمْ تُلْـفِ فِـيهِمْ قَـائِلًا لَـكَ مَرْحَبَـا
فَهَـلَّا إِلَى قَـوْمٍ مُلُـوكٍ مَـدَحْتَهُمْ ... تَبَنَّـوْا مِـنْ العَـزِّ المؤَثَّـلِ مَنْصِـبَا [١]
إِلَى مَعْشَرٍ صَارُوا مُلُوكًـا وَكُرِّمُـوا ... وَلَمْ يُلْفَ فِيهِمْ طَالِـبُ العُـرْفِ مُجْـدِبَا [٢]
أُولَئِكَ أَحْـرَى مِـنْ يَهُـودَ بِمِدْحَـةٍ ... تَـرَاهُمْ وَفِـيهِمْ عِـزَّةُ المجْـدِ تُرْتُبَـا [٣]

شِعْرُ ابْنِ مِرْدَاسٍ فِي الرَّدِّ عَلَى خَوَّاتٍ [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٠٢]:

فَأَجَابَهُ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السَّلَمِيُّ، فَقَالَ:

هَجَوْتَ صَرِيحَ الكَاهِنَيْنِ وَفِـيكُمْ ... لَـهُمْ نِعَـمٌ كَانَـتْ مِـنْ الـدَّهْرِ تُرْتُبَـا [٤]
أُولَئِكَ أَحْرَى لَـوْ بَكَيْـتَ عَلَـيْهِمْ ... وَقَوْمُـكَ لَـوْ أَدَّوْا مِـنْ الحَـقِّ مُوجَبَـا
مِنْ الشُّكْرِ إِنَّ الشُّـكْرَ خَـيْرٌ مَغَبَّـةً ... وَأَوْفَـقُ فِعْـلًا لِلَّـذِي كَـانَ أَصْـوَبَا [٥]
فَكُنْتَ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّـعُ رَأْسَـهُ ... لِيَبْلُـغَ عِـزًّا كَـانَ فِيـهِ مُرَكَّبَـا
فَبَكِّ بَنِـي هَـارُونَ وَاذْكُـرْ فِعَـالَهُمْ ... وَقَـتْلَهُمْ لِلجُـوعِ إِذْ كُنْـتَ مُجْـدِبَا
أَخَوَّاتُ أَذِرْ الدَّمْعَ بِالدَّمْعِ وَابْكِهِمْ ... وَأَعْـرِضْ عَـنْ المكْـرُوهِ مِـنْهُمْ وَنَكِّبَـا [٦]
فَإِنَّـكَ لَـوْ لَاقَيْـتَهُمْ فِي دِيَـارِهِمْ ... لَأُلْفِيـتَ عَـمَّا قَـدْ تَقُـولُ مُنَكِّبَـا
سِرَاعٌ إِلَى العَلْيَا كِرَامٌ لَدَى الـوَغَى ... يُقَـالُ لِبَـاغِي الخَـيْرِ أَهْـلًا وَمَرْحَبَـا

شِعْرٌ لِكَعْبِ أَوْ ابْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنهما فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ مِرْدَاسٍ: [السيرة لابن هشام ٢/ ٢٠٢-٢٠٣].

فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَوْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنهما، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّتْ رَحَى الحَرْبِ بَعْدَمَا ... أَطَـارَتْ لُؤَيًّـا قَبْـلَ شَرْقًـا وَمَغْرِبَـا
بَقِيَّـةَ آلِ الكَـاهِنَيْنِ وَعِزَّهَـا ... فَعَـادَ ذَلِـيلًا بَعْـدَ مَـا كَـانَ أَغْلَبَـا [٧]

---

(١) **المؤثل**: القديم.

(٢) **مجدب**: من الجدب، وهو القحط وقلة الخير.

(٣) **ترتب**: (بضم التاء الثانية وفتحها): ثابت. والتاء الأولى فيه زائدة، وهو من «رتب» عند سيبويه.

(٤) **الصريح**: الخالص النسب. **الكاهنان**: قبيلان من يهود المدينة، يزعمون أنهم من ولد هارون عليه السلام. ويروى «الكاهنين» للجمع.

(٥) **خير مغبة**: أي خير عاقبة بعد.

(٦) **نكب**: عرج عنهم.

(٧) **الأغلب**: الشديد.

فَطَـاحَ سَـلَامٌ وَابْـنُ سَـعْيَةَ عَنْـوَةً ... وَقِيـدَ ذَلِـيلًا لِلمَنَايَـا ابْـنُ أَخْطَبَـا [١]
وَأَجْلَـبَ يَبْغِـي العِـزَّ وَالـذُّلَّ يَبْتَغِـي ... خِـلَافَ يَدَيْـهِ مَـا جَنَـى حِـينَ أَجْلَبَـا [٢]
كَتَـارِكِ سَـهْلِ الأَرْضِ وَالحَـزَنُ هَمَّـهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا فِي النَّاسِ أَكْـدَى وَأَصْـعَبَا [٣]
وَشَـأْسٌ وعَـزَّالَ وَقَـدْ صَـلَيَا بِهَـا ... وَمَـا غُيِّبَـا عَـنْ ذَاكَ فِـيمَنْ تَغَيَّبَـا
وَعَوْفُ بْنُ سَلمَى وَابْنُ عَوْفٍ كِلَاهُمَا ... وَكَعْـبٌ رَئِـيسُ القَـوْمِ حَـانَ وَخُيِّبَـا [٤]
فَبُعْـدًا وَسُـحْقًا لِلنَّضِـيرِ وَمِثْلِهَـا ... إِنْ أَعْقَـبَ فَـتْحٌ أَوْ إِنْ اللهُ أَعْقَبَـا [٥]

مصادر ومراجع للدراسة:

أ ـ كتب السنة: جامع الأصول لابن الأثير (٦٠٦هـ) ٨/ ٢١٨-٢٢٣، جمع الفوائد للمغربي (١٠٩٤هـ) ص ١٠٠٣-١٠٠٥، فتح الباري لابن حجر (٨٥٢هـ) ٧/ ٣٨٢-٣٩٠، الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٢/ ٦٣٣-٦٤٣.

ب ـ كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: مرويات الزهري (١٢٤هـ) في المغازي للعواجي ١/ ٣١١-٣٢٢، السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بتهذيب ابن هشام (٢١٨هـ) ٢/ ١٩٠-٢٠٢، المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ١/ ٣٦٣ -٣٨٣، الطبقات الكبير لابن سعد (٢٣٠ هـ) ٢/ ٥٣ -٥٥، تاريخ الطبري (٣١٠هـ) ٢/ ٥٥٠-٥٥٥، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٣/ ٣٥٤-٣٦٨، الاكتفاء للكلاعي (٦٣٤هـ) ٢/ ١٤٦-١٥١، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/ ١٤٨-١٥٤، زاد المعاد لابن القيم (٧٥١هـ) ٣/ ١٢٧-١٢٩، ٢٤٨-٢٤٩، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٥/ ٥٣٣-٥٥٠، إمتاع الأسماع للمقريزي (٨٤٥هـ) ١/ ١٨١-١٩٢، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٤/ ٤٥١-٤٧٧، السيرة الحلبية للحلبي (١٠٤٤هـ) ٢/ ٥٥٩-٥٧٠.

ج ـ كتب السيرة الحديثة: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ٣٠٤-٣١١، صحيح السيرة النبوية للعلي ٢٤٣-٢٤٥، السيرة النبوية لرزق الله ٤١٧-٤٢٣، السيرة النبوية العطرة لشقرة ٤٠٦-٤٢٠، السيرة النبوية للصلابي ٢/ ٢٠٣-٢١٨.

د ـ كتب الغزوات والسرايا: غزوات الرسول ﷺ مع اليهود في الظلال ٦٣-٨٠، غزوة الأحزاب لباشميل ٤٦-٦٤، غزوة الخندق لأبي خليل ٣٣-٥٠، الصراع مع اليهود لأبي فارس ١/ ١٥٣-١٨٤، حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ لآل عابد ١/ ٢٣٥-٣٠٦، غزوات النبي ﷺ لقطب ٦٣-٨٠، غزوة الأحزاب للشافعي ٦-٣٥.

هـ ـ كتب أخرى: بنو إسرائيل في القرآن والسنة لطنطاوي ٢٧٧-٢٩٠، الرسول ﷺ واليهود للمرصفي ٢/ ٧٤٧-٧٨٢، رسالة من النبي ﷺ لحبيشي ٧٧-١١٣، والله يعصمك من الناس للجدع ٨٠-٩٦.

---

(١) **طاح**: ذهب وهلك. **العنوة**: القهر والذلة.

(٢) قال أبو ذر: من رواه بالجيم فمعناه جمع وصاح، ومن رواه بالحاء المهملة فمعناه جمع أيضًا، إلا أن الذي بالجيم لا يكون إلا مع صياح.

(٣) **الحزن**: ما علا من الأرض. **أكدى**: لم ينجح في سعيه، يقال: أدى الرجل في حاجته إذا لم يظفر بها.

(٤) **حان**: هلك.

(٥) **إن الله أعقبا**: أي إن الله جاء بالنصر عليهم.

خرائط غزوة بني النضير

(١)

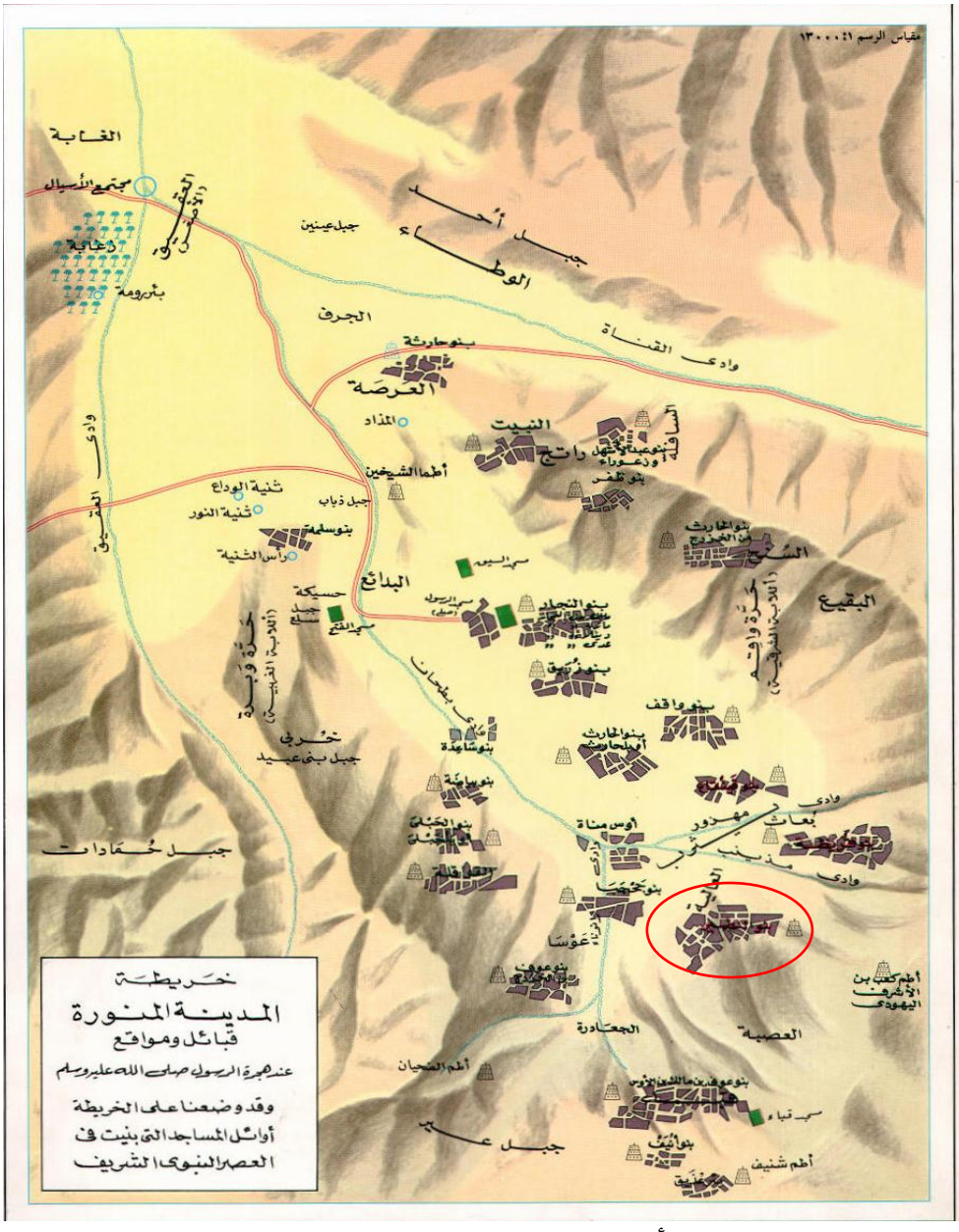

أطلس تاريخ الإسلام لمؤنس ص ٦٦.

(٢)

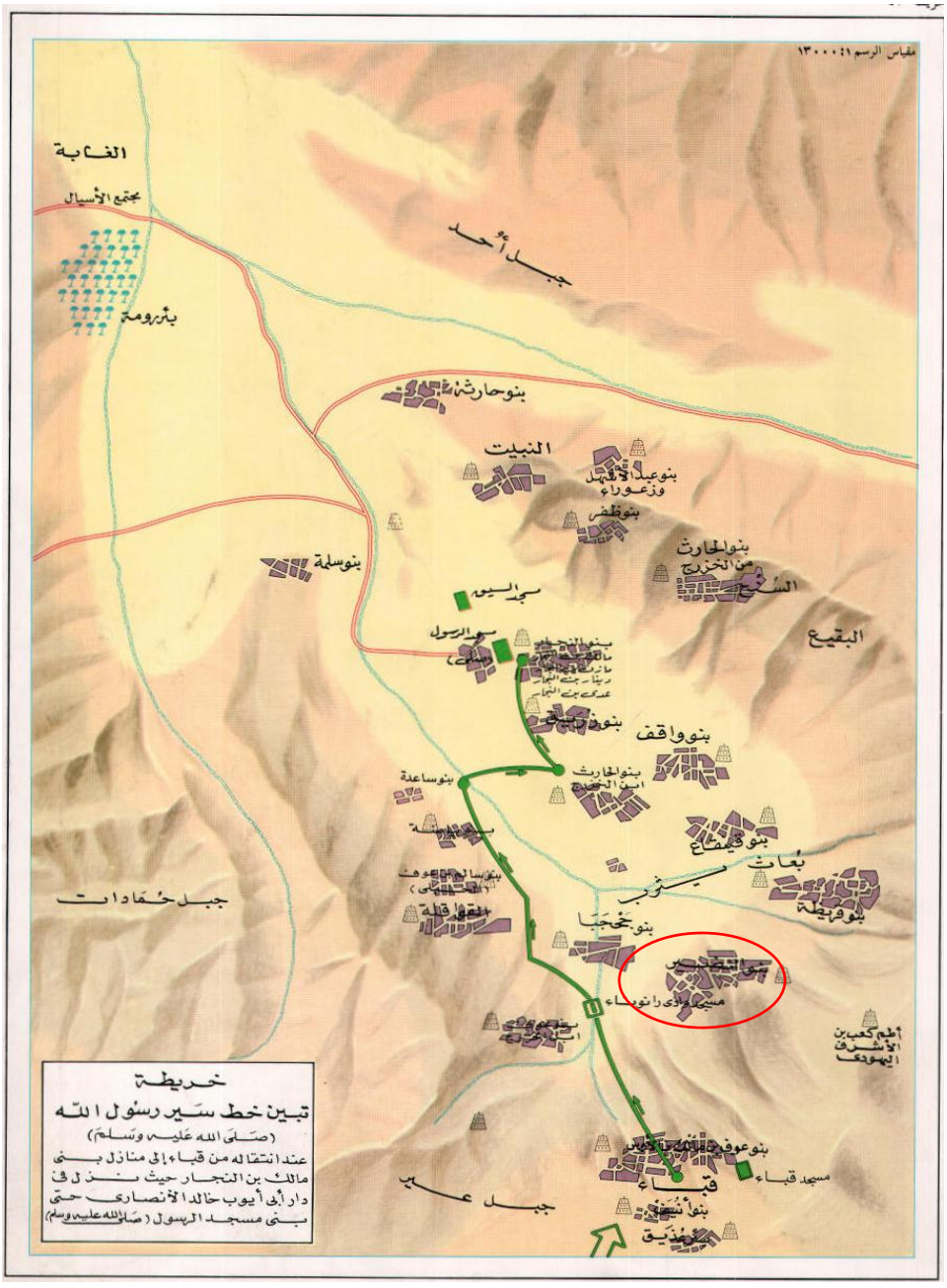

أطلس تاريخ الإسلام لمؤنس ص ٦٧.

(٣)

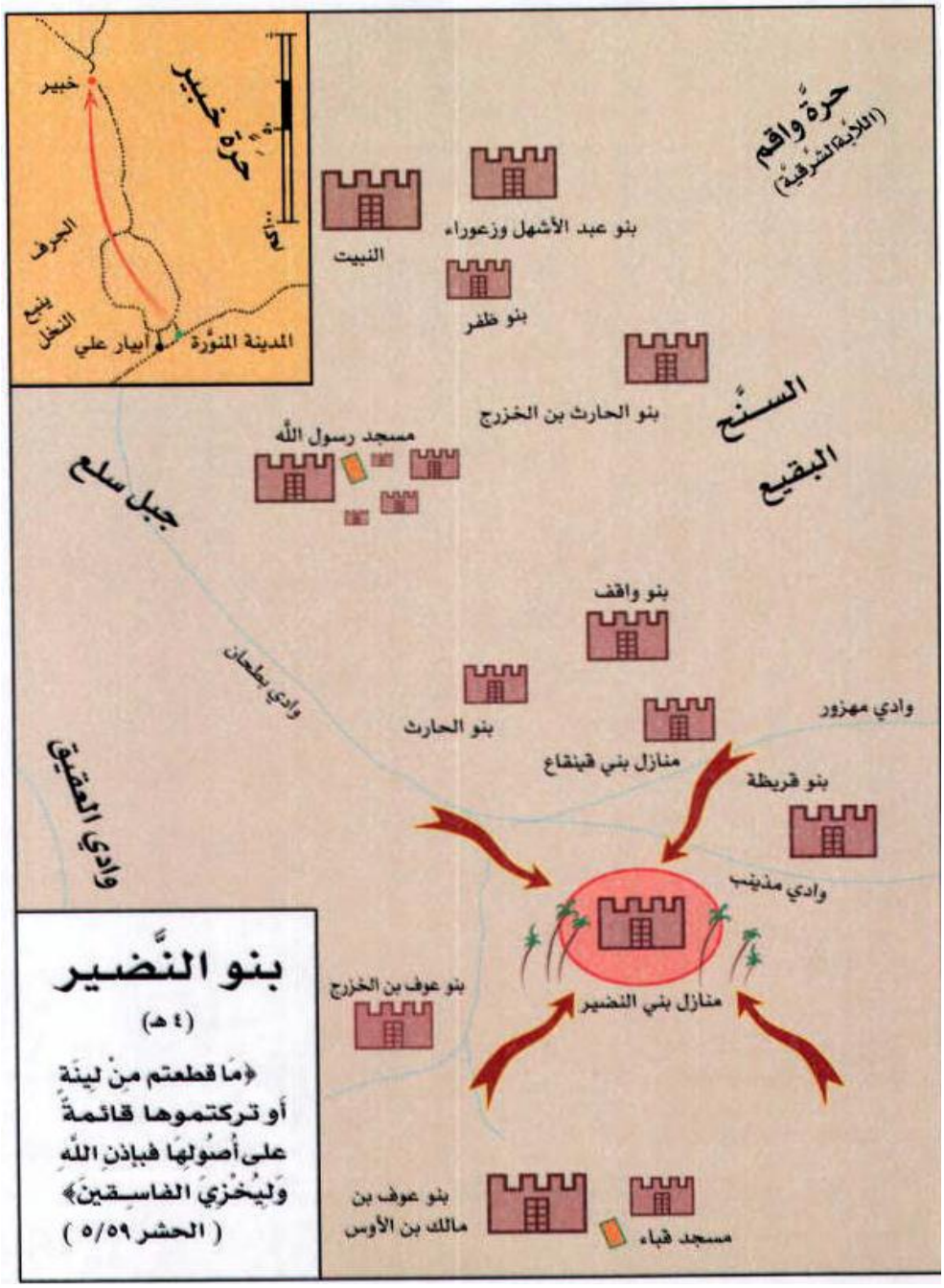

أطلس السيرة النبوية لأبي خليل ص ١٢٩.

(٤)

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ص ١٧٠.

(٥)

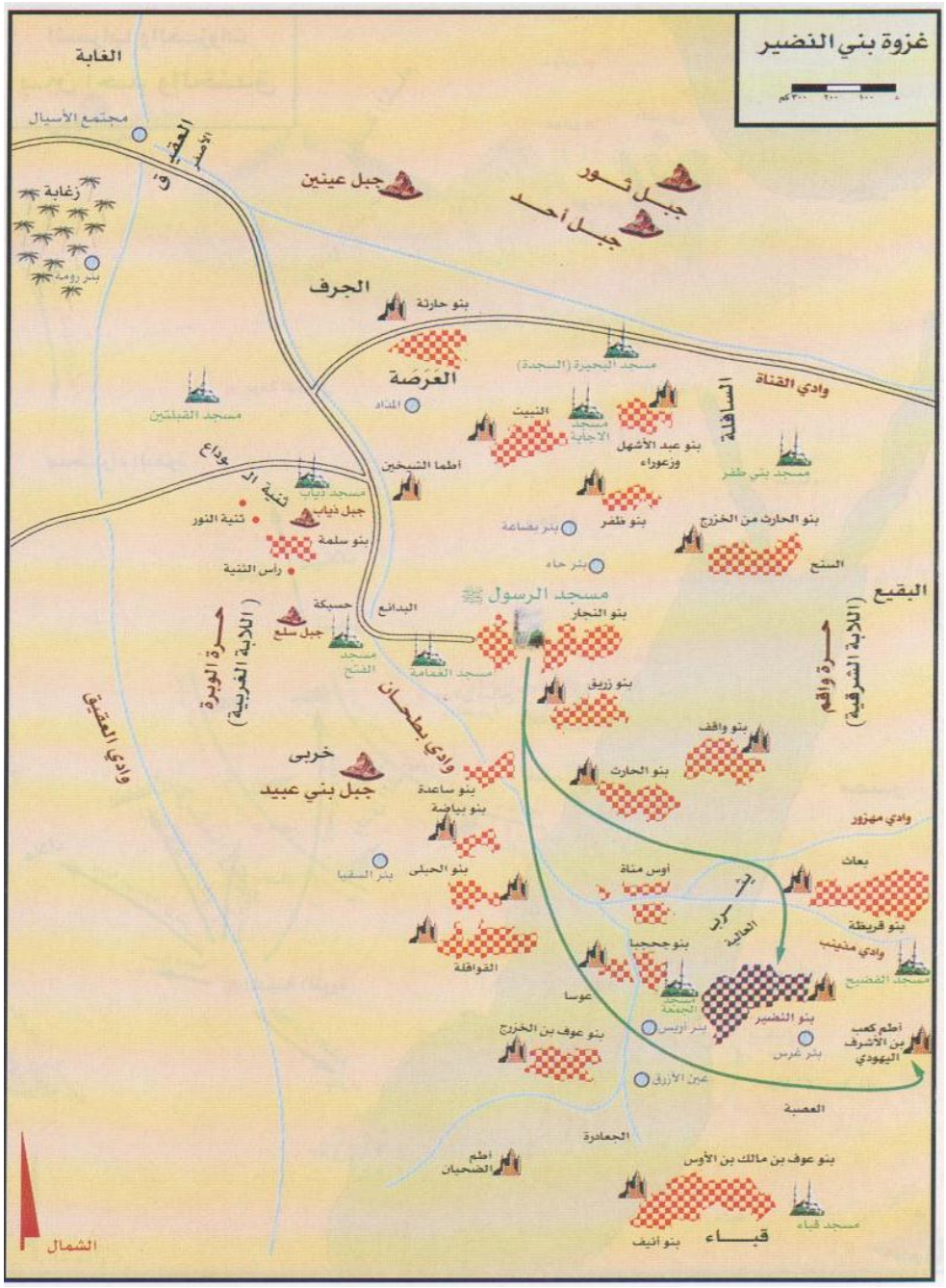

حدائق الأنوار لبحرق ص ٥٤٠.

(٦)

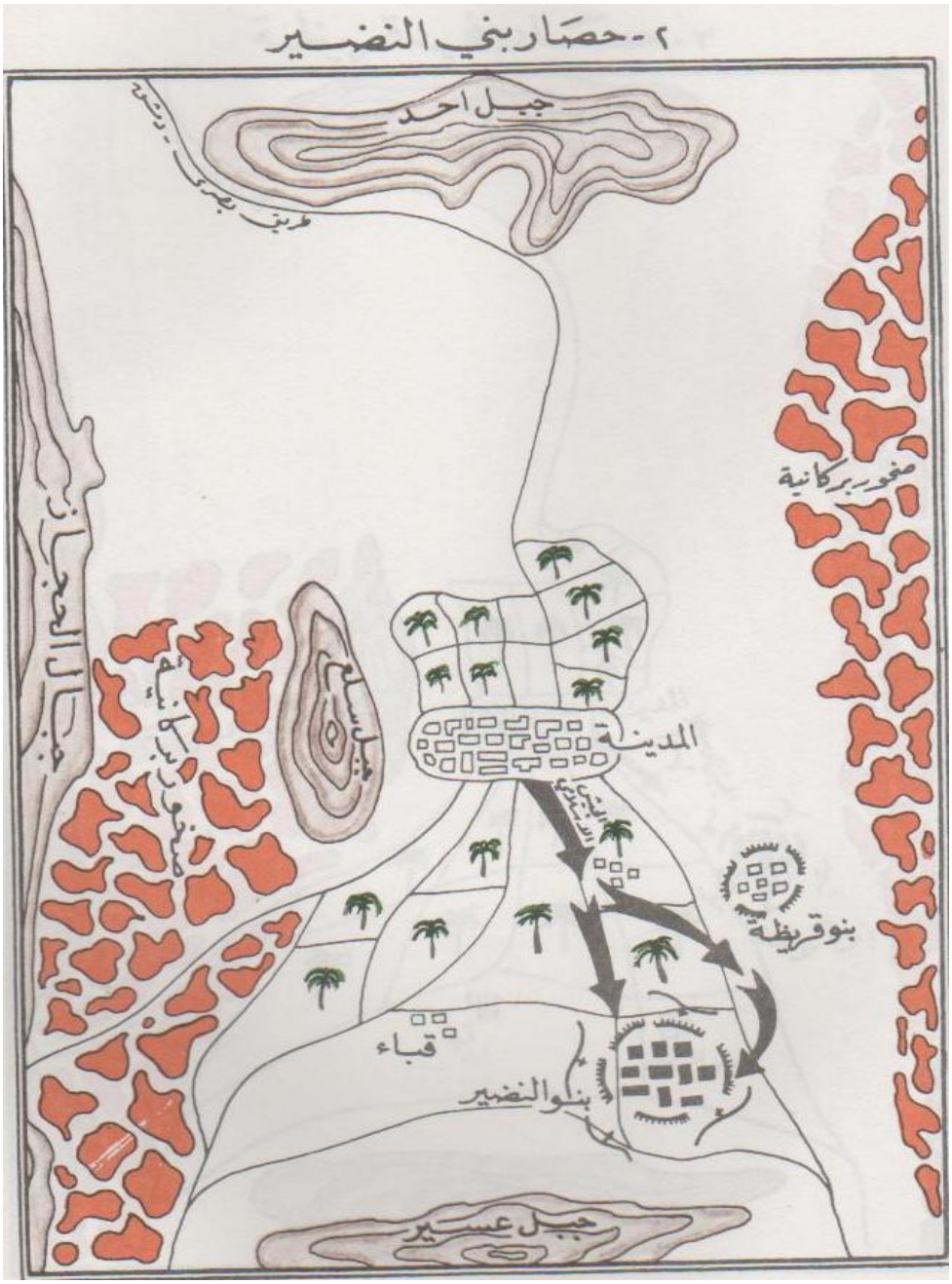

الإدارة العسكرية في حروب الرسول محمد ﷺ لوتر ص ٢٠٧.